الشعر مدينة الاحلام «١»

والمسرح.. مرثاة للجنون. وعصفرة للحب

محمد زهير الباشا

صاحبي (س ٠٠ ج)
يهوى الشعر صبوحاً وغبوقاً حتى الثمالة ٠٠ ولا يحترفه ٠٠ يبكي فيه دموع المهلهل في رثاء أخيه كليب ، في حرب البسوس ، ويتهم امرأ القيس في سقط اللوى ، ويستغرب موقف ابن سلام ٠٠ كيف أنه لم يتحدث في طبقات الشعراء عن ملامح عمر بي أبي ربيعة ، هذا الشاعر الذي لا يمدح الرجال وانما يمدح النساء، مما جعل الفرزدق يقرر عن نسيب عمر : هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار ، ووقع هذا عليه ٠٠) ٠
ويستمر صديقي بالنهل من الشوقيات وصولا الى حديث : قول على قول ، ٠٠ ثم يبحث عن نقاط التفجير لدى نزار وابي ريشة ٠٠ فهو لا يفرق بين روي او قافية ٠
يقرأ ٠٠ يمزج الاوزان مع تهويماته ٠ ٠ يرقع البيت بخفة ٠٠ ويخلط بين الصدر والعجز ٠٠ ويرى اللغة واحدة واصحابها أشتاتا ٠٠ يتمسك بعمود الشعر وهيكله ٠٠ فيحيى هاماته ويصرخ ٠

لو كنت من مازن لم تستبح وطني
بنو اللقيطة من صرافة الذهب

وكطيف النسيم أتمتم عنه :

*

" أما في المسرح فهو يمارس هواياته لأنه واحد ٠٠ واحد من عشاق شكسبير ، يقرمز مسرحياته ، يمثل عطيل دورا بلا همجية ٠٠ وينحو بالثأر مثل هملت :

قدمي على الافعى ، وثغري بين أزهار الحقول ٠٠ ويمصمص شفتيه ٠٠ ثم ماذا ؟ ثم يغضب لحظة ذكره العقوق الذي أحال الملك لير الى عابر سبيل فكأنه :

متلجلج الالفاظ مضطرب
متواصل الانفاس مطرد

*

واليوم يردد صاحبي (س ٠ ج) على عادته قوله :

" وشعر " كموج " الهم " أرخى "ظنونه"
علي بأنواع "البحور" ليبتلي

جعبتي اليوم زاد ثمين ، أمسكت عشرة ثم عشرة مما أصدرته دور النشر، ومما يسمونها قصائد نثرية مرة ٠٠ أو شعرا منثورا مرة ٠٠
وديوان تفاعيل ومفاعيل ٠٠ فعدت مهرولا الى فرس الشاعر الضليل أمتطيه ،وأحتمي بأعلى صوتي صارخا :

" ضيعني الشعر صغيرا "
" وحملني اثمه كبيرا "

لا " شعر " اليوم ٠٠ ولا " نشر " غدا ٠٠ اليوم خمر وغدا " شعر أولا شعر "٠٠
ألا أيها الشعر الغريب الا انجل
"بمن" وما "الاوزان " منك بأمثل

ـ قلت له :
هدىء من موج البحر في نبضك ، أتريد ان تغتدي ولما الطيور انطلقت من عشاشها على منجرد ٠٠
صاحبي : مكر مفر مقبل مدبر معا ٠٠ هذه حالة ما أقرأ مثل :
/ تشفيط / أحدث السيارات في احدث الشوارع ٠٠
ـ انك اليوم مسهد يا صاحبي ٠٠ فقد أثقلت عليك النجوم وهي مرتبطة بجبل ٠٠ أمهل اصحاب فن القول حتى تضع ـ الحوامل ـ وتستعد القبيلة للاحتراب ٠٠
صاحبي : كرم وتعال ان منح ـ المرقسي ـ ذلك الامهال ٠٠ ومن أسباب عزائي ان هذا الذي أقرأ أشبه بالصخرة يدفعها السيل من عل ٠٠ وذو القروح تخيل كل شيء ٠٠ مشدودا الى رؤوس الجبال ٠٠ وأحلامه ساهرة مقيدة كأنه الشاعر

الوحيد المقيد شد الى جبل " يذبل " ،
وروحه معلقة في أفق دموي للثأر ، ان
هذا لأثقل عليه من صخور الارض ..
- لكن أهله يا صاحبي .. يا (س .. ج)
كانوا صالحين .. وبالخطف خلفا كما
قال لي :
تذكرت أهلي الصالحين ..
أين هم ؟ ان هذا حديث مرثاة

بكى صاحبي لما رأى (الشعر) دونه
وأيقن انا لاحقان " بمرمرة "
فقلت له لا تبك عينك انما
نحاول " شعرا " او نموت" فنقبرا
كذلك جدي ما اصاحب واحدا
من الناس الا خانني وتغيرا
- لم كل هذا التشنج و السخط ؟
دع الشعراء في أحلامهم ..
صاحبي : - المشكلة ..ليست في السخط
كامنة .. ووانما .. قد ورثنا الغنى
والمجد أكبر اكبرا " .

*

الشعر .. ازميل في يد مهندس
واستمر صاحبي (س . ج / في
حديثه :
لا يحق لمن يبدع في الفلسفة ما لم يتعمق
بالجبر والهندسة ..
انها مقولة حضارية لدى الاغريق ..والشعر
هندسة وتوازن ، وناظم الشعر ابداعا
وخصبا مهندس متفوق في فن عمارة التركيب
وبناء التعبير ، وتزيين زوايا القصيدة ،
والحياة كالشعر ذات معادلات وموازنات
تعلمنا ان الاختلال في النغم واللحن
يعتبر نشازا وتواطؤا .
الشعر لغة وروحا تذوب فيه الكيانات
المصطنعة ذات الاشكال الهندسية المسطحة
.. لا ندري - والله - بأي قفص خشبي
معوج أنشأها (سايكس-بيكو) وصولا الى
يالطا وهلسنكي وسالت واحد وسالت
اثنين ..
فمتى نفقأ هذه السدود امام القواليين
الاقليميين الذين يغتالون القصيدة
ويخنقون الشعر ، ويكرسون الحدود ؟ . .
- طبعا لن نكون عربا بالندوات ..ندوات
القواليين هؤلاء ..
(وأردت ان ارجعه الى الشعر . .
. . فقلت له) يا صاحبي انك متيم
بالمعلقات وبالبحتري وهائم في شكسبير
.. ومع احلامك ".
صاحبي :- انني كالمبرد أفضل البحتري ،
وأستجيد شعره ، وأترنم بانشادي
سينيته ، وأقره الرأي حين قال :
" ما رأيت أشعر من البحتري ، لولا انه
ينشدني لما أنشدكم لملأت كتبي من
أمالي شعره .."
أما قرأت قول الامدي في موازنته :
" البحتري أعرابي الشعر مطبوع والطائي
شديد التكلف ، صاحب صنعة ".
والناس الى الان لم يتفقوا على اي من
الاربعة اشعر :
امرئ القيس ، النابغة ، زهير ، والاعشى ،
وأنت ، وأنا .. مع هؤلاء الناس لم نتفق
فمتى نتفق على رأي في الشعر ؟ مثلا ؟ .
أنا آتيك بجريدة القصر .. مثلا ..
صاحبي : - فتقرأ علي مما ورد في كل
عصر .. ان الشعراء لفي خسر ، الا الذين
تقرمزوا ، وأصدروا ما أصدروا ثم
تواصوا بالنقد بالجهر وبالسر ..
- الجودة يا صاحبي .. فارس شهوة وذورة
طموح هي الحزن الشقي .
صاحبي : - الجودة ليست اسطورة مثالية ،
ولا خرافة ترويها ساحرات سالم على
مجامر البخور ، فلننظر الى من جادوالى
من هو دون ..
الشعر كنز هو الحب ..والحب كائن حي
تقتله لغة القبائل وقد جيء بطرفة بن
العبد لقاتله الذي تواضع وتكرم فقال
له :
- أني قاتلك لا محالة فاختر لنفسك ميتة
تهواها ..
فقال طرفة (ان كان ولا بد فاسقني الخمر
وافصدني) ونزف دم الشاعر ولما
يستو سيدا ضخما ..
- وكل - قتيل للقتيل .. نسيب .
صاحبي - دعك لغة مضر وقحطان وال فاخرة
بالشعر والمفاخرة بالقول .. فأبو عمر
ابن العلاء يقول - وهو في غفلة من امر
العرب :
" ليست لغة حمير بلغتنا ولا عربيتهم
بعربيتنا ".
فلننطلق الى شكسبير في الطرف الاخر .."
هناك كانت معاقبة اهل الهوى في عصر
انتقل أهله اليوم فأطلوا على القرن
الواحد والعشرين ، وسفن القبائل
العربية تمخر عباب - بحر الظلمات -
على لغة مضر وقحطان . لكن قل لي على
اي ضوء مسرحي تهتدي ؟ .. ليس لنا سوى
روز اليندا أبنة الدوق الطيب في مسرحية
"كما يحلو لك - يا شكسبير ، وخادمها
يحذرها : - ان الطبيعة كلها عندما
تعشق ، تموت جنونا ، وجاك يعلق :بوسع
المجانين ان يكونوا فلاسفة على هذا

القدر من العمق .. الكون
كله مسرح .. الرجال والنساء ليسوا
سوى ممثلين.. (ويضيف صاحبي)روزاليندا
.. رمز للانوثة المعفاة من ضريبة
الدخل .. عذبة متفوقة يختبيء في

تعليقها فكر شكسبير في الطرفة النادرة ، فاسمعها تؤكد : –
" ما الحب سوى جنون .. ان السبب الذي يحول دون معاقبة العشاق يعود الى ان المرض بلغ من الانتشار ما جعل الحراس يعشقون كسائر الناس " .. عجبي –
– يا صاحبي .. للعشق شرائح وأفاريز وشرفات ، لا تخشى أهله الاحتراق كالبوذي المتمرد..
صاحبي : ومن البداهة ان نعود الى روزاليندا وهي تتحدث متنكرة عن بنات جنسها " لو كنت امرأة لكنت قبلت في صفوفكم كل من له بشرة تأسرني ، ونفس لا ينفرني .."
– ألهذا استطاع نابليون ، ان يهرب من مصر الى فرنسا ، وقد فشلت سفن صاحب الجلالة – بريطانيا – من القبض عليه ، رغم ترصدها له ، وملاحقاتها ، فقد كان نابليون يؤمن بأن الحظ يعلو على الكفاءة والمقدرة .. لكن اصطباغ الحب بالجنون مرثاة لانطلاق هذا الفكر بعصفرة لاتعطي المتابع حق معرفة كيف يشفى العاشق ان اوغل ..
صاحبي : – على طريقة روزاليندا ، حين رسمت صورة لهذا الشقاء المزمن فقد كانت تظهر امام عشيقها حزينة متلونة متوددة الى ان قالت : " تارة ابدي له طيبا ، أبكي لاناله ، أرحب به بحرارة .. وأخرى أصده .."
– اذن هذه هي المرأة .. بأصالتها ... ومرآتها .. والحقيقة عندها على شكل – موشور – ترى أناملها ، وهي تروي

لك تقلباتها ..
صاحبي : – ليست كل النساء سواء.. فالبكر تستأمر وينتظر امرها وتقول لها بأدب جم : بماذا تأمرين ؟ يا آنسة ..
يا عذراء الصبر ..و (روميو) كان بعيد النظر .. لم يقبل بالاخيلة التي رواها له – مركوتيو – عن الملكة – ماب – وهي تداعب انوف الناس ، وتأتي على قوائم عجلاتها من سوق العناكب ،ولجامها من أشعة القمر السائلة .. تطوف برؤوس العشاق فيحلمون بالهوى وبرجال الحاشية فيحلمون بالانحناء.. وبأهل القانون ، فيحلمون بالاجور .. وبشفاه السيدات فيحلمن فورا بالقبلات .. ويجيب روميو بعنف : يكفي يكفي يامركوتيو .. انك تروي تفاهات ..تفاهات (وكان مركوتيو متصفا بالفكر اللماح والخيال المجنح) ، لكن لحظة في مصير روميو ، اندفعت به الى معادلة غير متكافئة العناصر .. فقد وجد الحب ان اللقاء بالموت لهدم اللذات ، وقاهر العشاق ، ومفرق الاحبة ، هو الحل الامثل والافضل ، وأضاف وهو على التصميم اخذ بالقول :– فليقبض علي ، وليقض علي الموت ، هلم أيها الموت أني أرحب بك ، هذه هي مشيئة جولييت فما رأيك ؟ لنستمر في الحديث فالصبح بعيد ..
جولييت : – بل هو الصبح ، ياروميو .. إهرب .. ابتعد .. ارحل وروميو حريص على حبه حتى الموت والفناء ، وهي حريصة على حبه وهو حي ..(وبينهما العكس ليس بصحيح)
– والحب .. هذا اليوم صار في مستوى حاوية مناديل الكلينكس ..
تمثله الاغنية الملهفة : "اسألوا عن تليفونه .. وخذوا رقمه.. عاش من شاف الحبايب .. ألف رحمة على اللي جايب التلفون ..
الهوى بالقلب ساري ، لا لجة السيف جاري
صاحبي : – دعنا من هذا الحب – الهوائي – الورقي .. الذي يحمل حرارة الهاتف ، لا حرارة القلب .. وامسح عرقك لدى سماعك ، ما العشق الا هو طيب – الهاتف يتأوه من عشق هو الرثاء كله .. لانه نبض هذا العصر ..
– روميو كان يشعر ان لقاءهما لا يطول وفراقهما آت لا محالة ..
صاحبي : – يقول روميو : – لقد احترقت شموع الليل ، وهذا الصبح هو الفرح ينتصب على اطراف اصابعه فوق قمم الجبال الضبابية علي ان أمضي وأحيا ، أو أبقى وأموت .. ان رغبتي في البقاء الاشد من حرصي على الرحيل .
جولييت .. آه .. انصرف الان .. فالصبح يزداد اشراقا .
روميو : أجل ، هو يزداد اشراقا . . واحزاننا تزداد اظلاما ..
– لم يعجبك عشق ساحته خطوط الهاتف والبرقيات المستوردة فهل يعجبك بريد نزار اليها :
– تلك الخطابات الكسولة بيننا
خير لها خير لها ان تقطعا
ان كانت الكلمات عندي سخية
لا تكتبي فالحب ليس تبرعا
صاحبي : يقاطعني – ويتمم : فقد مللت حديثك المتميعا ..
اما سمعت قصة الشاعر مع احد زواره المعجبين به وبشعره .. قال الشاعر : هات يا اخا العرب قطعة من سكر وضعها في كأس الماء .. حركها حتى تذوب .. ثم قل لي بربك هل ترى سكر يا حضرة المعجب بالشعر .. أي بقصائدي ..؟
الزائر – طبعا لا اراه .. يا حضرة الشاعر ..
الشاعر : ذق الماء .. على مهل وتأن..

وقل لي ما مذاقه على الصحة دون تأويل .. أو تعكير ..
الزائر : طبعا .. انه حلو المذاق ..
الشاعر : دع الماء وسكره ومذاقه .. يا زائري المعجب .. ان السكر في الكأس .. موجود لا تراه .. وكذلك لن ترى مابأنفسنا .. وان رأيت ما بأنفسنا فقل عنه إنه الشعر .. نابع من ذاتنا .. لانه الروح والنبض والحلم والجنون .. بل ان هذا الشعر هو انا وانت معا , انه مدينتي ، بأحلامها وغضبها .. بعنفوانها ونزق شيوخها .. ولكل شاعر مدنه وقممه ، وحواريه وعنادله .. ان لم تجدني في شعري .. فماذا واجد يازائري ؟
اما المسرح .. فسأعود اليه .. لنتلمس مرثاة الجنون عند عطيل .. وعصفرة الحب عند الملك لير .. وربما وصل بنا حب شكسبير الى مكبث ..
ونستمر .. نستمر في الحديث فالصبح بعيد ..

دمشق – محمدزهيرالباشا

ثوب

حامد حسن

ياثوب .. لاحرج عليك اذا تبطنك الصباح
لكن .. حذار، وفي ذراعيك المحرم والمباح
والحب أوله ، وأوسطه ، وآخره جراح
قدر متاح .. لا يهادن قلبك القدر المتاح
لكنه .. روح على تعبي ، وريحان ، و راح
فمتى متى – وأنا السجين به – يهيأ لي سراح ؟ ؟
قاومت .. واستسلمت بعد غد ، وما نفع السلاح

* *

يا حي .. أنت مدى الخيال ، وأنت للشعر الجناح
عصفت رياحك بي ، وفي الستين تنطفيء الرياح
من شارف الستين لا يفدى عليه ، ولا .. يراح
جفت عناقيد الكروم ، ومات في الروض الصداح

* *

حامد حسن

شخصية الشيطان

في الفنون والاداب العربية والعالمية

علي ونوس خنسة

ان صورة الشيطان الرجيم في العقائد الدينية غيرها في خيال الفنانين والادباء ، ومما لا ريب فيه ان العقائد الدينية هي التي عرفت الانسان بعدوه اللدود الشيطان ، واذا كانت العقائد الوثنية والكتابية غير الاسلام ، قد اضطربت في تقديم الصورة الحقيقية للشيطان ، فان القرآن الكريم ، يبين لنا كل ما يتصل بإبليس اللعين سواء من ناحية الخلق فهو من نار السموم ، اومن ناحية المهمة فهو رائد الغواية على طريق الشروالفساد ، ولا ننسى اخراجه لأبينا آدم وأمنا حواء ، من الجنة بخداعه ووسوسته ، هذه حقائق عقيدية مقدسة عندنا جاء بها الذكر الحكيم الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه فهوتنزيل من عزيز حميد .

وأما الشيطان في خيال الفنانين والادباء وخاصة الشعراء الذين دأبوا على ادعائهم في الاتصال بعوالم غير منظورة كالجن عامة والشياطين خاصة ، وقل من سمع منهم بالشيطان ولم يصوره في خياله صورة قابلة للتمثيل والتجسيم ، وقد وضع له الفن الغربي تماثيل على صورة انسان له ذيل وقرنان وأظلاف كأظلاف الماعز ، وشعر طويل كثيف وجاء له في الشعر العربي ما يصلح للتصوير الحسي على هيئة مرئية ، قال: بعض الاعراب في رواية الخليل بن احمد يصور شيطانا تخيله ،

وحافر العير في ساق خدلجة
وجفن عين خلاف الانس في الطول

وتكاد صورته في خيال العرب الجاهلين ، تتشابه في معالمها الرئيسية فقد جعلوه على مثال انساني منحرف بعض الانحراف او مشوه الخلق لمجرد المخالفة بينه وبين الملامح الانسانية فله عين واحدة طولية الشكل تتوسط الجبهة ، لا يفتأ يمد الفنانين والشعراء يبدعون، كما توهموا - وقد عبر ابو العلاء المعري، عن هذا بقوله :

وقد كان أرباب الفصاحة كلما
رأوا حسنا عدوه من صنعة الجن

وكانت العرب تزعم في القديم ان شعراءها تستوحي الجن ، ولكل شاعر شيطان يستعين به ويصاحبه. ويعرفه باسمه . ف (هبيد) اسم شيطان عبيد بن الابرص ، و (مسحل) اسم شيطان الاعشى و (جهنام) اسم شيطان عمرو بن قطن ، و(سنقناق) ، اسم شيطان بشار ويزعم الفرزدق ان الشعر منقسم بين شيطانين احدهما يسمى (الهوجل) وهو موكل بالجيد من الشعر والاخر يسمى (الهوبر) وهو موكل برديئه وسقطه ، وأنشد رجل من تميم بيتا يقول فيه :

ومنهم عمرو المحمود نائله
كأنما رأسه طين الخواتيم

فضحك الفرزدق وقال للرجل : انهما قد اجتمعا لك في هذا البيت ، فكان معك الهوكل في اوله فأجدت وخالطت الهوبر في آخر فأفسدت .

وكان ابو النجم الرجاز يفخر على الشعراء ويقول ان شياطينهم جميعا اناث ما خلا شيطانه فهو شيطان ذكر .

ومما زعمه العرب ايضا ان لكل شيطان من شياطين الشعر تابعا (رئي) كأنه الرواية الذي يحفظ ما يلقيه الشيطان عفو الخاطر .

وأبو العلاء المعري في رسالة الغفران لم يغفل ذكر الشيطان في مجالي الشعر

والغواية فقد تخيل انه ذهب الى أودية الجن ، فسأله صاحبه وهو من الملائكة ما هذه يا عبد الله ؟ فقال له هذه جنة العفاريت الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكروا في سورتي الاحقاف والجن ، وهم عدد كثير ويسأل احد العفاريت عن أشعار المردة فيقول له :

وهل يعرف الانس من النظم الا كما تعرف البقر من علم الهيئة ، ثم يسأله عن اسمه فيقول انه يدعى الخيثعور وانه من قبيلة من غير ولد ابليس ، وانهم من الجن الذين سكنوا الارض قبل آدم عليه السلام ، ويلقى في جنة العفاريت شاعرا يسمى أبا الهدرس فيسمعه من نظمه عن أيام طاعته لابليس أبياتا منها :

نسلم الحلم اليه اذا
قاس فنرض بالضلال المقيس
وتخرج الحسناء مطرودة
من بيتها عن سوء ظن حديس

وشعراء العربية في العصر الحديث لم يكونوا بمعزل عن تصوير الشيطان بشخصية جديدة معاصرة منهم عبد الرحمن شكري الذي اطلق على كتاب له اسم (حديث ابليس) وكذلك شعراء المهجر اوردوا ، له ذكرا فهذا الشاعر المهجري شفيق معلوف ينظم ديوانا باسم " عبقر " ومن قوله فيه :

في قصيدة " الشيطان واسم " ابليس النقائض

وجاءنا ثاني أبناء عزريل
سحنة شيطان في منكبي غول
وقال في دهاء ويل أنا الكاسي
بالخبث والرياء نقائض الناس
لما أقمت الارض في زورة
استعرض النقائض العارية
ألفيتها والناس قد مزقوا

أجسادها في فتنة دامية
فرحت أكسو بيدي عريها
بحلل براقة زاهية

وفي الاداب الغربية التي تغلب عليها صفة الملاحم والقصص نجد شخصية الشيطان تلتقي في خيال ادبائهم من شعراء وقصصيين بخيال أدباء العرب من ناحية الالهام الشعري ، والمفارقة الاساسية في شخصية الشيطان في آداب الغرب ان له علاقة بقصة الخليقة ، وله دور فيها ، بينما لم يسند له ادباء العرب مثل هذا الدور لانهم في الجاهلية لا يعرفون مثل هذه التصورات ، وفي الاسلام تحفظوا فيها لعلاقتها بالعقيدة الاسلامية ، وان ذكر للشيطان دور ، فهو لا يخرج عن مفاهيم الاسلام ، كما وجدنا عند المعري في رسالة الغفران .

واذا تجاوزنا أساطير اليونان والرومان ووقفنا عند شعراء القرن السادس عشر ، وما بعده في أوروبا ، نرى ادباء القوم قد خلعوا على الشيطان مسحة مسرحية ، او قصصية ، فقصة الساحر (فوستوس) التي تدور حول رجل ساحر متعطش الى المتعة والسطوة لم يجد بغيته في العلم والمعرفة ، فأقبل على كتب السحر الاسود يلتمس منها القدرة على تسخير الشيطان لما يهواه ، وتعاقد مع الشيطان على قضاء اربع وعشرين سنة في المتعة التي يهواها ثم يسلمه روحه ليهبط بها الى الجحيم .

ويقوم الشاعر (ملتون) (١٦٠٨-١٦٧٤م) باعطاء الشيطان دور البطل في ملحمة الفردوس المفقود وحمله مسؤولية الغواية والضلال والشيطان في رواية (فاوست) التي ألفها شاعر الالمان .

(جيته) (١٧٤٩ م - ١٨٣٢ م) جعل للشيطان (مفستوفليس) قوة النفي التي تقول (لا) امام كل ايجاب ، والقوة التي امتزجت بالسوء ، ويصفه في جميع الاحوال بالمفسد الذي يعيق كل انتظام ، والشاعر الانكليزي وليام بليك الذي عاش ما بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر جعل شيطانه شخصية تنتمي الى الشر والخيانة ، والاديب الروسي الشهير تولستوي نراه يستعمل الشيطان استعمالا مجازيا حيث زاد في عدد الشياطين فهناك شيطان للكبرياء والعنصرية ، وشيطان الاستعمار وشيطان الحرب والاستعباد ، والاديب الانجليزي الدوس هكسلي نراه ينسخ عن شيطان القرون الاولى آلاف النسخ من شرار الادميين الذين فاقوا الشيطان خيانة ومكرا .

وأما عن شخصية الشيطان عند الفنانيين فكذلك يأخذ دور الملقن للالحان فقد زعم اسحق ابراهيم الموصلي ان الغناء الماحوزي الذي افتن الناس به من فن أبيه ، انما كان من صنع ابليس ، وقد ساق خبرا طويلا لا مجال لذكره ، وقصة الموصلي مع ابليس لها نظير في قصة الموسيقى الايطالي (جيوسي تريتاني)في اوائل القرن الثامن عشر ، وكما تقول الرواية انه كان نزيلا في احد الاديرة فجاءه الشيطان في المنام وتناول قيثارته وعزف عليها لحنا أذهله ، ولكنه لم يذكره حين أيقظه ابليس ، وتحداه ، ان يعيده كما سمعه فقنع منه بما وعاه وسماه هزة الشيطان .

والمتمعن في روايات الفنانين حول الشيطان ، يرى ان الصبغة الغالبة على

شياطينهم انهم شياطين قدرة وابداع وليسوا شياطين غواية كما ورد في قصصهم ومع ذلك فان معظم فنونهم تستخدم للغواية والفتنة ، وخلاصة القول ، فان شخصية الشيطان ، كما تراه في خيال الادباء – غالبا – لعبت دور المحرض الداخلي لكل الفتن والشرور والاثام .

*

علي ونوس خنسة

البحر

للدكتور نقولا فياض

البحر ليس ملكا لاحد

يحيط بالارض ويشد عليها شدا ويحبسها بين امواجه جزرا ومدا ، فآناً تداعبها تلك الامواج مداعبة الحبيب وآنات تهجم عليها هجوم العدو ، فمن قبلات صافية الى ضربات طاغية تهدم السدود وتكتسح الحدود فتعود المياه في لحظة الى امتلاك ما اقامت الارض دهراً في بنائه .

البحر ليس ملكاً لاحد

يقف عند الشاطئ ويرسل عمله الى بعيد فهو كالسلطان المطاع سخر له الجو ليعمل بأمره ، فاذا ما هاجت الزوبعة وجعدت الرياح ذلك الجبين الازرق فاخرجت من الامواج تياراً هائلا لا يقف سد في وجهه يظن المرء للوهلة الاولى ان البحر عبد الظواهر الجوية تصرفه كيف تشاء .

ولكن البحر ليس ملكاً لأحد .

هو الذي يتحرك ويزأر ، ويتحول الى بخار لطيف يخترق احشاء الجو خازناً فيه جزءاً من الحرارة او يتجمع غيوماً فتسد على الحرارة منافذ الخروج ، وحينئذ يجود بالمطر والثلج والزوابع والصحو بلا وزن ولا حساب .

ثم تعود المياه من سفرها الطويل بعد ان تأتي اعمالا كبيرة : من قمم الجبال التي كللتها بالثلوج تهبط الاودية سيولا جارفة في طريقها كل ما تجد ، حافرة في الصخور اخاديد ، الى ان تلتقي بالمطر المتساقط على الارض او النافذ في بطونها فتخرج ينابيع بعد ان تحل من احجارها ما تحل وتحمل من املاحها ما تحمل ، تاركة فيها صوراً واشكالا ، ثم ترجع مع النهر الى البحر .

لان البحر ليس ملكا لاحد .

فالغيوم والامطار هي رسل الاوقيانوس العظيم تأخذ من الارض ما وهبها من قبل وقد تقف في منتصف الطريق فتبتلع منها الارض ما تبتلع وعلى نسبة هذا ينقص ماء المحيط .

الارض [illegible]ايا ضخمة قائمة بجوار البحر وهو وحده الكفيل بتوزيع حرارة الشمس عليها بل هو مصلح هذا التوزيع لان الحرارة على سطح الارض موزعة بلا عدل فيحملها ويمزجها فيه مزجاً سوياً ويعدل على هذا الوجه حرارة القطب .

الشمس ام الحياة . اشعتها تسكب الفرح في النفس وتجلب البركة والخصب وتطبخ مواد النبات فتتحول الى لحوم ، فكيف يعيش بدونها حيوان في قاع البحر او على عمق ثمانية الاف قدم حيث لا نور ولا حرارة ولا غذاء الا ما يتساقط من السابحات فوقه ؟ اجل هناك كائنات غريبة الاشكال تولد النور من نفسها من شرارة الى منارة . فالحياة بنت الشمس تحمل شيئاً منها الى قاع البحار الى ان تصل الى اعماق الاعماق حيث الظلمة والسكون والعدم .

ولكن البحر ليس ملكا لاحد .

الدكتور
نقولا فياض

وقفة على الحمراء في غرناطة

حنا الطيار

بأي عين ارى الحمراء يا خجلي   ماذا أقول لها عن نكبة العرب
من ضيع الجد يا حمراء أخطأه   درب النجوم وغير الذل لم يصب
تهفو الحياة الى كف تزينها   ولا تقوم بكف اللهو و اللعب
خير الانامل ما صاغت وما تركت   وملهم اليد للتاريخ كالشهب
والناس في أثر جلت مآثرهم   لا يحمد المرء لم يبدع ولم يثب
حمراء من لين الاحجار فانقلبت   تحت الاصابع آيات من العجب
حمراء من أنطق الازميل نمنمة   ونضر الوشي فوق الصخر والخشب
هذي النقوش سجاجيد معلقة   تكاد تضحك في أثوابها القشب
سقف من الارز من لبنان زخرفه   يقول للارز في لبنان أين أبي
وقبة حجر غابت بما حليت   لكن محاريبها في جدة الذهب
تلك المحاريب لم تفتأ مرتلة   أوراد أحمد في زهو وفي طرب
جثمت حمراء فوق الهضب صامدة   وحولك الظل يا حمراء كالقبب
وتحت ظلك أفواه و ثرثرة   كأنها الهمس في آذان منجذب

قامت صفوف من الاشجار حانية   على الدروب كجيش حارس لجب
سلالم أحمر القرميد دبجها   بين الازاهر في صعد وفي صبب
فأين سرت رأيت الحور سارحة   والعطر منتشر والماء في سرب

وخلت أنك في الجنات وارفة ... وقد خلوت من الاحزان والوصب
حمراء غرناطة بانت منازلها ... حمائما جثمت بيضاء لم تشب
وشاهق الشم قد رفت عمائمه ... لم يبق منها سوى ما قل لم يذب
ومن بعيد يلوح السهل مكتئبا ... رغم الجنان ورغم الماء والعشب
سمعت في السهل أصواتا وغمغمة ... لعلها زحمة الفرسان واليلب
لعل موسى وراء النهر مستترا ... والله أكبر صوت الله لم يغب
غرناطة ما أنا في غربة قسما ... الاهل أهلي وان ناديت لم أجب
والناس حولي من الفيحاء أكثرهم ... عاداتهم تلك في لحمي وفي عصبي
دخلت قرطبة أسعى بجامعها ... سعى الحجيج بماهاموا من النصب
ما عابه بيع لاذت بحائطه ... القصر يؤوي عشاش الطير لم يعب
خباء حاتم ما ضاقت جوانبه ... فهل تضيق بيوت الله بالصلب
أين المعابد نردين بغابته ... ضاعت ضياع شريد الليل بالسهب
فألف سارية عن ساقها كشفت ... كألف غانية في مرقص رحب
ترى فهل لم تزل سكرى بما سمعت ... من مسكر الوحي في محرابه الذهبي
النهر حولك هيمان بلا أمل ... يسير مسترخيا كالبائس التعب
في موغل السهل يجري غير مصطخب ... كأنه ناسك يشكو من الصخب
والسهل من ظمأ يلهيه يعطفه ... والنهر كالطفل ان أغريت ينجذب
شمس على الافق لم تحجب اذا طلعت ... تلقي بملتهب من فوق منسكب
وادي الكبير وطول العمر تجربة ... فكم شهدت من الغارات عن كثب
وكم سقيت عطاش الخيل مجهدة ... وكم غسلت جراح الضمر النجب
ومن دم الفارس المطعون كم خضبت ... مياه نهرك لم تحفل بمختضب
أراك تهزأ بالانسان معتنقا ... على الغرور شعار الفتح والغلب
أرى بصمتك أشياء ترددها ... الفتح للعلم ما أبقى على الحقب
لولا الطلول أيا حمراء شاهدة ... لمات في الغرب اسم الفاتح العربي

حنا الطيار

أحرف تائهة في عالم ضائع

خيرية عباس

هبيني يا نجمة الصبح لحظة استرسال .
اني غرقى في بئر عميقة . .
اصبح الضجيج في نفسي غولا
ففي فؤادي يمطر الأسي سيولا
وقلبي كومة من الصقيع
أكاد يا نجمة الصبح في بحر الشك أضيع
دعيني مع الفجر هذا .. مع سيمفونية
الخالق العذراء

مع انطلاق الضوء في تأمل
دعيني استنشق عبير الصمت
اني في جوعي اليه كالرضيع
دعيني أفك لجام تأملاتي
ففي عيني شوق ملجم
دعيني احط عند مرافيء المدى نظراتي
وافترش بساط خلجانه
فخيالي أتعبه السفر
بين جدران الحجر يمشي .. بلا نظر
دعيني يانجمة الصبح اكتب فوق جفنك
همس امنيه

واسمع احلى اغنيه
ففي سمعي انطلاق بعيد
دعيه يلملم من حديقة الفجر وشوشة الشجر

ومن روائع الصور تشرب نفسي الرؤى
تفتق عنها ثوبها الرمادي
ربما ترحل عن النفس رياح الكآبة

لعل الصبح يفتح بابه
ويزورني أمل جديد
ألونه كيفما أشاء
ولكن .. هل يا نجمة الصبح
احلم ان أستعيد
دفء قلبي
أتشرق شمسه من جديد ..؟
عفوا يا نجمة الصبح .. اغفري لي خواطري العطشى
اغفري لي سرعة الافكار
فهي احرف تحترق كي تولد من رمادها الاشعار
فأني لا اطمع في امل جديد
فالاحلام في مملكتي سراب
وفي جعبتي الآمال أحجار
كذب .. كذب ان امني النفس
بغير السكينه
فامنحيني يا نجمة الصبح غفوة هدوء
وصحوة استقرار
فهي خير ستار
لأن الحياة عندي اصبحت مزمارا
لحنها يضيع مع الصدى ويبقى دفء الصمت تذكارا
فدعيني يا نجمة الصبح ارضع من ثديك انتظارا
لقد جاء القطار وزحمة الافكار
تحملني من محطة الى اخرى
حركة وضوضاء وفوضى
وأمضي في عالم لا يقر له قرار

خيرية عباس

المفاهيم النقدية عند
الجاحظ

(١٥٠ - ٢٥٥ هـ)

د . حكمة علي الاوسي

لم يحاول الجاحظ ان يضع قواعد ومقاييس نقدية لمعالجة قضايا الادب والنقد وتحديد المفهوم الذي يريده او يتطلبه في كل منها .

وكل ارائه النقدية التي ساقها متناثرة ، في اثناء كتبه ، عامة وفي كتابيه البارزين البيان والتبيين ، والحيوان ، خاصة ، لم تأت الا على شكل نظرات عارضة استدعت الحديث فيها ووقوفه عندها مناسبات استطرادية غير مقصودة لذاتها .

ويبدو من الغريب ان لا يسعى الجاحظ بما اوتي من نظرات نقدية نافذة وذوق ادبي رفيع ، وثقافة علمية وفلسفية ولغوية واسعة ، ان لا يسعى الى اقامة النقد على اصول منهجية لها قاعدتها الفلسفية الراسخة وتطبيقاتها العلمية المتفردة ، لهذا جاءت اراؤه في مجال الدراسة النقدية الادبية ، نظرات سريعة اقرب الى الخواطر والملاحظات منها الى النظريات ذات الاسس والاصول .

ويمكن اجمال المفاهيم والاراء النقدية التي الم بها في كتاباته في جملة من النقاط كان في بعضها مشاركا غيره من الدارسين ، او كان غيره يشاركه فيها ، وكل بعضها الاخر من استنباطاته الذاتية ومن ملاحظاته الدقيقة النافذة .

النظر الموضوعي :

يتجلى هذا النظر الموضوعي في قول الجاحظ منتقدا من يزرون بأشعار المولدين لا لاسباب ادبية او فنية محددة . بل لأنهم مولدون فحسب ،

وقد رأيت اناسا منهم يبهرجون اشعار المولدين ويستسقطون من رواها ، ولم ار تلك قط الا في رواية للشعر غير بصير بجوهر ما يروي ، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان ، وفي اي زمن كان "(١) .

فهو هنا ، يضع قاعدة نقدية موضوعية ترفض فكرة التفاضل الزماني والمكاني ، ولا تنظر الى الشخص الذي يصدر عنه الشعر وهل هو بدوي او حضري، من القدامى او المحدثين المولدين . وانما تعتمد في اصدار الاحكام النقدية ، على مافي الشعر ذاته من جودة ، من اي شاعر جاء وفي اي زمان كان ، وهذا مبدأ قال به ابن قتيبة ، ايضا ، بتفصيل اكثر .

وتبدو هذه النظرة الموضوعية قائمة على مبدأ ديني أخلاقي في اساسه هو مبدأ الانتصار للحق ضد الباطل ، او مبدأ يدعو الى التمييز بين الحق والباطل والتصدي للاهواء التي تجعل الناقد مغلوبا على امره ف " لايبصر الحق من الباطل " ، يبدو هذا واضحا في تفضيله شعر ابي نواس اذ قال :

" وان تأملت شعره فضلته ، الا ان تعترض عليك فيه العصبية او ترى ان اهل البدو ابدا ، أشعر ، وان المولدين لا يقاربونهم في شيء فان اعترض هذا الباب عليك ، فانك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوبا "(٢)

ان روح التجرد من الاهواء والاحكام المسبقة واضحة في هذا المبدأ النقدي ، فهو يرفض الحكم لشاعر لانه بدوي اوابن زمن قديم ماض وهو يرفض ان ينجس حق شاعر مجيد لانه مولد او ابن الحاضرة والامصار .

فالجودة هي المقياس الاول والاخير عند الجاحظ ، ولكن ، وماهي مقاييس

الجودة وضوابطها ؟ انها البصر بجوهر الشعر • وهذا يعني انه يقرر مبدأ الخبرة المستندة الى الثقافة الواسعة والممارسة الطويلة ، وهو مبدأ سبق ان قرره ابن سلام •

ولا ادري لماذا يسمي الدكتور احسان عباس هذا المبدأ العلمي المكين ب " النظرة التوفيقية " و " ب فكرة التسوية "(٣) وهما تسميتان اقرب في مضمونهما ودلالتهما اللغوية ، الى فكرة المساومة التجارية وموقف " الترضية " في حل الخصومات ، منها الى مفهوم النظر العلمي المنصف المجرد عن الاهواء وعن الاحكام المسبقة التي سبق ان استقرت في النفوس والاذهان دونما تمحيص او تعليل ، وهذا النظر هو اساس متين من اسس البحث الموضوعي بالمفهوم الحديث للمصطلح •

٢ – اللفظ والمعنى :

لم يكن الجاحظ من المنحازين للفظ انحيازا مطلقا دونما تحديد او تقييد كما فهم من نظريته المتعلقة بالمعاني المطروحة في الطريق ، حين قال :

" وذهب الشيخ الى استحسان المعنى والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي والمدني ، وانما الشأن في اقامة الوزن وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة ، وضرب من النسج ، وجنس من التصوير "(٤)

لم يكن الجاحظ يقصد بالمعاني العامة والمعاني الشائعة والمألوفة المرددة بين الناس ، انها " مادة المشاهدة والتجربة في الحياة العامة "كما نعتها د • احسان عباس (٥)

ولعل الجاحظ حينما قرن الشعر بالصناعة والنسيج والتصوير ، انما اراد ان يشير الى ان اساس التفاضل بين صناعة وصناعة ونسج ونسج وتصوير وتصوير لا يرجع الى ما تعبر عنه من معنى ومغزى بقدر ما يرجع الى جودتها الظاهرة وجمالها المحسوس المشاهد فالشأن في استحسانها انما هو في شكلها ومظهرها ، لا في مضمونها ودلالتها (٦)•

وحديث الجاحظ عن اللفظ لا يعني به اللفظ المفرد فحسب ، بالرغم من انه عني بالالفاظ المفردة وما يعتريها من عيوب وماتتصف به من تحسينات ، وانما يعني به ايضا اللفظ في سياق " النظم " اي في سياق التركيب التعبيري الجملي ، اي الصياغة الادبية للمضمون (٧)•

وهذه الصياغة المؤثرة هي التي يقصدها الجاحظ ، وفي ضوئها فهم قول الغتابي : " البلاغة اظهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل في صورة الحق " (٨) •

ومما يدل على ان الجاحظ كان يهتم بالمعنى ايضا ، الى جانب اهتمامه باللفظ ، انه كان يفاضل بين المعاني ويرى ان منها ما هو غريب عجيب ، وما هو شريف كريم ، وما هو بديع مخترع ، وان من المعاني ما يجيد الشاعر وصفه فيتحامى الشعراء تقليده ، مثل وصف عنترة للذباب " فانه وصفه فأجاد صفته فتحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرض له احد منهم ، ولقد عرض له بعض المحدثين ممن كان يحسن القول فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ومن اضطرابه فيه انه صار دليلا على سوء طبعه في الشعر •(٩)

فما قصده الجاحظ ، هنا بالمعنى انما هو الوصف والصورة الادبية ولا نظن ان هناك معنى او وصفا لا يمكن تقليده او سرقته ، كما يقول البلاغيون وانما العبرة بالتوفيق في أدائه وتصويره •

ويعلق الدكتور احسان عباس على نص الجاحظ هذا وعلى موقفه من الشكل بقوله ، " فقوله انه لا يسرق دليل على ان السر في المعنى) قبل اللفظ ، ولكن الجاحظ لم ينتبه لهذا التناقض (١٠)

وفي الواقع اننا لا نجد في نص الجاحظ المذكور عبارة له عن المعنى تنص على "انه لا يسرق " وكل ما قاله هو " فتحامى معناه جميع الشعراء "اي تجنبوا القول فيه ، وليس في هذا التعبير حكم يقطع بأن المعنى لا"يسرق " بل هو على العكس من ذلك قد ذكر ان بعض الشعراء المحدثين عرض لهذا المعنى ولكنه اضطرب فيه ولم يوفق في أدائه ، وهذا يعني ، ضمنا ، ان غيره قد يوفق فيه فليس هناك في نظري ، تناقض بين اهتمام الجاحظ باللفظ وعنايته بالمعنى •

ومن الواضح ان " المعنى " الذي قصده الجاحظ هنا هو الصورة الشعرية التي اجاد عنترة رسمها للذباب ، فسر الاجادة يبقى في جودة الاداء، وهو من عناصر الشكل ، وليس في المعنى ، وان اطلق الجاحظ عليه هذا اللفظ •

اذن ، فهناك ، عند الجاحظ معنى جيد ، ومعنى مستكره مضطرب ، وهذا احتفال بالمعنى وتمييز بين انواعه •

وللمعاني ، عنده ، اعيان وحقائق يكشف عنها التفسير و " عن اجناسها واقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها من السار والضار ، وعما يكون منها لغوا بهرجا ، وساقطا مطرحا " (١١)

وهو يرى ان احسن الكلام ما جاد لفظه وشرف معناه ، وما شف لفظه عن مضمونه ، وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه .. فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا ، وكان صحيح الطبع ، بعيدا عن الاستكراه ، ومنزها عن الاختلال ، مصونا عن التكلف ، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة " (١٢).

والشواهد كثيرة ، في كتابات الجاحظ ، على اهتمامه بالمعنى والعناية به على ان لا يكون في ذلك اهمال للفظ ، لانه يرى ان الكلام الجيد لا بد له من الملاءمة بين اللفظ والمعنى لان المعاني " تحل من الالفاظ محل البدن من الروح (١٣)

وفي موضع اخر يؤيد موعظة في صفة الاديب البليغ جاء فيها (١٤):

".. فان المعنى اذا اكتسى لفظا حسنا واعاره البليغ مخرجا سهلا ، ومنحه المتكلم دلا متعشقا ، صار في قلبك احلى ولصدرك املا ، والمعاني اذا كسيت الالفاظ الكريمة ، وألبست الاوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقادير صورها وأربت على حقائق اقدارها ، بقدر ما زينت وحسب ما زخرفت .."

ويبدو اهتمامه بمسألة الانسجام والتلاؤم بين اللفظ والمعنى ، ايضا في قوله (١٥) ، " ولكل ضرب من الحديث ضرب اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء ، فالسخيف للسخيف ، والخفيف للخفيف ، والجزل للجزل .."

وما دعوته الى التزام اللحن واجتناب الاعراب ، اذا ما اقتضى الحال ذلك ، الا بسبب قناعته بضرورة الانسجام بين اللفظ والمعنى ، ليكون الاداء الادبي ناجحا وموفقا ، ويبدو هذا واضحا في قوله (١٦).

و أنا اقول ، ان الاعراب يفسد نوادر المولدين ، كما ان اللحن يفسد كلام الاعراب ، لأن سامع ذلك الكلام انما اعجبته تلك الصورة وذلك المخرج وتلك اللغة وتلك العادة ، فاذا دخلت على هذا الامر - الذي انما أضحك بسخفه ، وبعض كلام العجمية التي فيه - حروف الاعراب والتحقيق والتثقيل ، وحولته الى صورة الفاظ الاعراب الفصحاء ، واهل المروءة والنجابة ، انقلب المعنى مع انقلاب نظمه ، وتبدلت صورته ".

لاحظ تأكيده على " الصورة " التي هي ، ولا شك ، الصورة الادبية المكونة من تفاعل اللفظ مع المعنى .

المعاني غير محدودة والالفاظ محدودة .

ومن القضايا الاساسية المتعلقة باللفظ والمعنى ، عند الجاحظ ، قضية بالغة الاهمية في التعبير الادبي خاصة ، والفني عامة ، تلك هي مشكلة ان المعاني التي تستشعرها النفس الانسانية غير محدودة في تنوعها وظلالها والوانها والوسائل المعبرة عنها محدودة ومعدودة . وربما كان الجاحظ هو اول وآخر من قرر هذه الحقيقة الانسانية ، في التراث العربي ، في مجال التعبير الادبي ، اذ قال (١٧):

".. ان حكم المعاني خلاف حكم الالفاظ ، لأن المعاني مبسوطة الى غير غاية ، وممتدة الى غير نهاية ، واسماء المعاني مقصودة معدودة ، ومحصلة محدودة

وهذه النظرية الجاحظية هي صلب مضمون كتاب لاسل آبر كرومبي " قواعد النقد الادبي " اذ يعرف فيه الادب بانه " فن استخدام وسائل محدودة كرمز لتجارب غير محدودة " كما وضحنا ذلك في كتابنا : مفاهيم في الادب والنقد (١٨)

لكل اديب مفردات تميزه :

من الحقائق المهمة ، في مسائل النقد الادبي ، ما التفت اليه الجاحظ ببصيرته النافذة من ان لكل شاعر او اديب صاحب كلام منثور الفاظا معينة تتردد في كلامه ، وتكون سمات اسلوبية خاصة به ، قال الجاحظ (١٩)،

" ولكل قوم الفاظ حظيت عندهم وكذلك كل بليغ في الارض وصاحب كلام منثور ، وكل شاعر في الارض وصاحب كلام موزون ، فلا بد من ان يكون قد لهج وألف الفاظا باعيانها ليديرها في كلامه ، وان كان واسع العلم غزير المعاني كثير اللفظ ".

يبدو من قوله " لكل قوم ألفاظ.. ان لكل فئة من الناس تجمعهم مهنة واحدة ، او ظروف اجتماعية واحدة الفاظا معينة يتداولونها في كلامهم وفي ما يكتبون ولهذه الحقيقة اهمية خاصة في النقد الادبي ، لأن الناقد يمكنه عن طريقها ، ان يميز الاساليب المختلفة ، ويقرر ما هو صحيح بالنسبة منها وما هو منحول ، يضاف الى ذلك ان هذه الحقيقة يمكن ان تساعد المنشيء الادبي في الشعر القصصي او الرواية او القصص او المسرح ليكون موفقا في ما يضعه على ألسن

شخصيات قصصه منحوار يمثل بيئاتهم وثقافتهم المتنوعة .

أثر البيئة في تطوير التعابير اللغوية :

أدرك الجاحظ ان التعابير اللغوية والمجازية ، شأنها شأن المفردات تنشأ وتتطور ، ويترك الكلام بها ، وفق ما تتطلبه البيئات الجغرافية والاجتماعية المختلفة .

وقد رصد هذه الحقيقة الجوهرية في كلام للاصمعي نقله الجاحظ في البخلاء اذ قال : (٢٠)

" كان الاصمعي يقول : قد كان للعرب كلام على معان فاذا ابتدلت تلك المعاني لم يتكلم بذلك الكلام، فمن ذلك قول الناس اليوم :
ساق اليها صداقها ، وانما كان هذا يقال حين كان الصداق ابلا وغنما ، وفي قياس الاصمعي ان اصحاب التمر ، الذين كان التمرديائهم ومهورهم ، كانوا لا يقولون ساق فلان صداقه ، قال : ومن ذلك قول الناس اليوم : قد بنى فلان البارحة على اهله ، وانما كان هذا القول لمن كان يضرب على اهله في تلك الليلة قبته وخيمته ، وذلك هو بناؤه ..) .

اذن ، فالتعابير والمجازات التي كانت ابنة البيئة الصحراوية حيث كان الناس يتعاملون بالابل والاغنام ،لاينبغي ان تستعمل في بيئة زراعية يتعامل فيها الناس بالتمر ، او بغيره من الاثمار والمنتجات الزراعية ، وقد قاس الجاحظ هذا الامر على مضمون قول الاصمعي وهذا قياس سليم ، ولكنه لم يخبرنا هل حصل حقا ، هذا الذي يقيسه ، وكيف كانوا يقولون للتعبير عن هذا المعنى نفسه بقالب تعبيري مستمد من ظروف بيئتهم هذه .

ان فهم الجاحظ هذا لارتباط التعبير اللغوي ببيئته ، وقياسه عليه لهو فهم لا يختلف ، في جوهره ، عما جاءت به احدث النظريات اللغوية والادبية في العصر الحديث وهو الشيء الذي ما فتيء كبار الادباء والنقاد العرب يدعون اليه ، ويحثون الادباء على انتهاجه في الادب العربي الحديث ، ليكون انتاجهم ابن عصره وبيئته حقا .

ومما يلاحظ اننا لا نجد ، في نظرات الجاحظ النقدية الصائبة هذه محاولة لتطبيقها فيما عرض له من نقد ادبي في صفحات كتبه ، وهذه ظاهرة واضحة في كتابات النقاد العرب القدامى :
يتوصلون بنظرهم الثاقب وخبرتهم الواسعة وثقافتهم الادبية والفكرية العميقة الى حقائق واصول صائبة ثم لا نجد لها فيما يعالجونه من امور النقد ، اثرا بارزا .

اما ملاحظة الجاحظ من تطورمعاني جملة من المفردات العربية واختلاف دلالاتها في الاسلام عما كانت عليه في الجاهلية ورصده طائفة من الالفاظ والتعابير مما كان مستعملا قبلا الاسلام ثم تركه الناس وصاروا الى غيره في الاسلاموفي زمن الجاحظ نفسه ، فقد ذكر طائفة من هذا في مواطن مختلفة من كتاب الحيوان (٢١)

٣ ـ غاية الادب التواصل :

لقد ادرك الجاحظ بحسه المرهف ، وروحه الادبية الصافية ، وثقافته العميقة الواسعة الهدف الاساس لفن القول فقرره بوضوح لا غموض فيه اذا قال:

" ان مدار الامر والغاية التي يجري اليها القائل والسامع انما هو الفهم والافهام ، فبأي شيء بلغتالافهام واوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع (٢٢)"

فغاية الادب على هذا هو توصيل المشاعر والاحاسيس والمعاني والمقاصد الى السامعين اي هو التواصل النفسي بما فيه من تبادل التأثير .

ولا ينبغي ان نفهم من قوله :
فبأي شيء بلغت الافهام .. فذلك هو البيان .. انه يساوي بين البيان الادبي والبيانبالاشارة او بالرطانة ، والالكان يناقض نفسه ، وانما هويتحدث هنا حديثا فلسفيا يحاول فيه ان يبين اصناف الدلالات من لفظ وغير لفظ ، على المعاني العامة ، بأسلوب الحصر والتحديد الفلسفي ، لذلك راح يدخل فيها ، الى جانب اللفظ المطلق من اية صفة او شرط، الاشارة والعقدوالخط .. الخ .. ففي كل هذه الوسائل دلالات على المعنى ، ولكنها ليست دلالات أدبية ، ولا هي بالوسائل الادبية او البلاغية ، للدلالة على المعاني

وقد وقع العتابي في خطأ تعميم مشابه لهذا ، حين قرر " ان كل من أفهمك حاجته فهو بليغ " فعلق الجاحظ على قوله هذا موضحا قصده فيه ، اذ قال (٢٣) : " وانما عنى العتابي افهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء .." ان الغاية الاساسية للادب ، هي التغيير عن طريق التأثير ، ولا يمكن ان يكون هناك تأثير من غير تواصل ذهني ونفسي ، وهذا التواصل لا وجود له من دون " الفهم والافهام " وهذا ما ادركه الجاحظ ادراكا عميقا ، سبق به النظريات الادبية المعاصرة .

٤ - موقفه من الشعر :

يصدر الجاحظ في نظرته الى الشعر عن مفهومه العام لعلاقة اللفظ بالمعنى وضرورة التلاؤم بينهما في صياغة فنية مؤثرة في النفس، مستميلة للمتلقي بما فيها من جمال النغم والايقاع وتخير اللفظ السهل الجميل، في صحة طبع وجودة سبك وحسن تصوير، وملاءمة لمقتضى الحال.

فالمعاني عنده، اذا ما كسيت الفاظا كريمة، وعرضت بأثواب رفيعة، ازدادت قيمتها، وقوي تأثيرها في النفوس، وأمكنها ان تقنع المخاطبين بما تريد، وان تظهر لهم ما غمض من الحق، وتصور الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل (٢٤) وتلك هي البلاغة وذلك هو البيان الساحر.

ويشترط الجاحظ لهذا الاداء الادبي البليغ ان يتجنب السوقي المبتذل من الالفاظ وكد للذهن في التخلص الى غرائب المعاني (٢٥). اي : يكون وسطا بين طرفين مذمومين لا يفيد اي منهما في تحقيق غاية الادب التي هي التواصل والتجاوب النفسي عن طريق " الفهم والافهام ".

الا ان المقام اذا اقتضى سخيف المعاني، فلا بد، حينئذ من اللجوء الى سخيف الالفاظ ".. وقد يحتاج الى السخيف في بعض المواضع وربما امتع بأكثر من امتاع الجزل الفخم من الالفاظ والشريف الكريم من المعاني "(٢٦).

وقد يستغرب ان يصدر هذا القول عن الجاحظ فيدعو الى سخيف المعاني والالفاظ ويجعلها اكثر امتاعا، في بعض المواضع، من الكريم الشريف، ولكن هذا الاستغراب يزول اذا ما فهمنا الجاحظ على حقيقته وهي انه اديب واقعي وجه جل اهتمامه الى شؤون الشعب في حياته الواقعية التي يحياها يوميا، وجعل اللغة طيعة مستجيبة لمقتضيات هذه الحياة

وبهذا يمكننا ان نفهم ايضا قوله ".. ان النادرة الباردة جدا قد تكون اطيب من النادرة الحارة جدا، وانما الكرب الذي يختم على القلوب، ويأخذ بالانفاس، النادرة الفاترة التي لا هي حارة ولا باردة، وكذلك الشعر الوسط والغناء الوسط، وانما الشأن في الحار جدا والبارد جدا "(٢٧).

ومع غموض مقصوده من " النادرة الباردة والفاترة والحارة " فربما امكننا ان نفهم منها انه يشير الى ما يدور بين الناس في حياتهم اليومية المسترسلة على سجيتها، وما يحصل لهم في الواقع من نوادر وطرائف مثيرة للضحك، وممتعة للنفس، على ما في بعضها من سخف وفجاجة وبرودة شديدة، وما في بعضها الاخر من جدية مكتنفة بالمفارقات المدهشة المثيرة، فهذان طرفان ممتعان اما ما بينهما من احداث وسطى لا هي الى هذا ولا هي الى ذاك، فتبدو سمجة ممجوجة

والادب والشعر، خاصة، والطرفة والنادرة، على الاخص، هي التي فيها طاقة الاشارة والامتاع، ولا تكون كذلك الا بأن تكون شيئا غير عادي، اي شيئا نادر الحصول حقا، وسواء انتهى الى الطرف البارد جدا او الى الحار جدا.

والشعر الوسط لا امتاع فيه، اي: لا اشارة فيه، وكذلك كل فن، لأنه لايكون عندئذ عاديا، والعادي المألوف لا خير فيه

ولعلنا نستطيع ان نستخلص، من هذا التفسير والتحليل، ان عنصر الامتاع والاشارة عنصر ضروري للانتاج الفني عامة، وللادبي منه خاصة في نظر الجاحظ.

القصد الى الشعر ضروري :

وهناك موقف من الشعر يبدو صدوره من الجاحظ غريبا، انه مفهوم يختلط فيه اشتراط القصد الى الشعر، ومفهوم الكم المجرد عن الكيف، مع المعرفة بالاوزان، ويبدو هذا في قول، في معرض الرد على من زعم ان في القرآن وبعض ما اثر عن الرسول من قوله، شعرا (٢٨)

.. اعلم انك لو اعترضت احاديث الناس خطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن كثيرا، ومستفعلن مفاعلن وليس احد في الارض يجعل ذلك المقدار شعرا، ولو ان رجلا من الباعة صاح : " من يشتري باذنجان " لقد كان تكلم بكلام في وزن، مستفعلن مفعولات، وكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يقصد الى الشعر ؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام واذا جاء المقدار الذي يعلم انه من نتاج الشعر والمعرفة بالاوزان والقصد اليها كان ذلك شعرا ..

فكان الجاحظ يشترط لاطلاق صفة الشعر على الانتاج الادبي، ان يتوفر فيه القصد الى الشعر لدى القائل مع مقدار لم يحدده من الانتاج داخل في باب الشعر والمعرفة بالاوزان.

ومن الغريب ان يركز الجاحظ هنا على الكم والمعرفة بالاوزان والقصد اليها، دونما ذكر لشروط الجودة الاخرى التي تطلبها في الشعر في نصوص مر ذكرها والتعليق عليها.

الشعر والترجمة :

يسوق الجاحظ الحديث عن الترجمة على صورة محاورة علمية جدلية طريفة اشبه بشيء بالحوار المشرحي او الروائي ، بين المفضلين للكتب المترجمة عن الهند واليونان والفرس ، والمدافعين عن فضيلة الشعر العربي ومن ينصره ويحوطه ويحتج له ، فيقول على لسان محاور مدافع عن الشعر الذي هو فضيلة العرب وحكمتهم ، ومآثرتهم ، ان"..الشعر لا يستطاع ان يترجم ، ولا يجوز عليه النقل ، ومتى حول تقطع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب (فيه) ، لا كالكلام المنثور .." (٩).

وامتناع الشعر على الترجمة انما هو بسبب قيامه ، في مفهوم الجاحظ على اقامة الوزن الذي هو عنصر معجز في

الشعر العربي (٣٠) وعلى النظم المؤثر في السامعين والقارئين ، اي بسبب جودة السبك وجمال الصياغة ، فاذا ما نقل الى لغة اخرى بطل سر الاثارة فيه ، وفقد طاقته التأثيرية الايجابية.

والترجمة النثرية لكتب العلم واداب الامم وحكمها ، قد يحالفها التوفيق ، ولكن الترجمان ، حتى لهذا الكلام المنثور " لا يؤدي ابدا ما قاله الحكيم ، على خصائص معانيه ، وحقائق مذاهبه ، ودقائق اختصاراته ، وخفيات حدوده ، ولا يقدر ان يوفيها حقوقها ، ويؤدي الامانة فيها ..(٣١)

فاذا كان الامر في هذه الكتب المنثورة ، على ما مرت صفته ، وبانت نواقصه من صعوبة الترجمة الدقيقة الامنية ، فترجمة الشعر بما فيه من اتساق نظم ، واقامة وزن ، وجودة صياغة وسبك ، تكون ، ولا شك ، اكثر صعوبة واعظم واعصى على التنفيذ ، فان الشعر " ان هو حول تهافت ، ونفعه مقصور على اهله ، وهو يعد من الادب المقصور وليس بالمبسوط ومن المنافع الاصطلاحية وليست (منفعته) بحقيقة بينة "(٣٢).

وقد بدا هذا النص للدكتور احسان عباس ، غامضا مغلقا ، وحاول ان يبدد غموضه ويفك إغلاقه ، كما حاول الدكتور داود سلوم ، من قبل ، ان يفسر بعض عباراته التي بدت له ان بها حاجة الى تفسير ، وقد ذهب الدكتور سلوم الى ان " الادب المقصور " يعني هنا الادب الذي يبغي منه المتعة والجمال ، وقرن النص برأي ارسطاطاليس في المأساة التي تمنح القارئ اللذة الخاصة بها (لذة مقصورة عليها) (٣٣) وقرر الدكتور احسان عباس " ان هذا الرأي ليس مما يعتنقه الجاحظ ".

ثم راح الدكتور احسان عباس يفسر مضمون هذا النص ، فوفق في جانب من تفسيره ، ولم يحالفه التوفيق في جانب آخر ، فقد وفق في اظهار موضوع النص وهو " المفاضلة بين ما هو محقق النفع" وبين ما هو اصطلاحي المنفعة .."(٣٤)

وما لم يوفق فيه ، في نظري ، هو تفسيره لتعبير " الادب المقصور " و " المبسوط " وللفظة " حول ".

فمضمون النص ، كما يبدو لي ، هو ان الشعر ان هو " حول " اي :ترجم الى لغة اخرى " تهافت " اي : لم يعد له ذلك الماء والرونق الساحران ، ولا ذلك الوزن الموسيقى المطرب الاخاذ و"المعجز" كما وصفه الجاحظ ، واذ ان الشعر العربي صره في صياغته واوزانه ، واذ ان حكمة العرب في شعرهم هذا ، فان الهنود واليونان والفرس لو انهم حولوا ، اي ترجموا ، هذه الحكمة الشعرية الى لغاتهم " لم يجدوا في معانيها شيئا لم تذكره العجم في كتبهم "(٣٥).

والشعر " نفعه مقصور على اهله " اي : ان ما فيه من تأثير نافع ، سواء كان عن طريق امتاعه اوتقويمه للنفوس بما يحويه من الحكم والعبر والفوائد المعبر عنها تعبيرا ادبيا فنيا قدرا، على " اظهار ما غمض من الحق ، وتدوير الباطل في صورة الحق "(٣٦) نفعه هذا " مقصور على اهله : اي على اهل لغته الذين يفهمونه ويتذوقونه ويتجاوبون، معه ويتواصلون وليس كما يرى الدكتور عباس " ان نفعه - في رأي اولئك القوم، (يعني المدافعين عن الكتب المترجمة ، والمجادلين في الشعر العربي) مقصور على اهله (اي هم بينكرون ان تنتقل المنفعة من المنشيء في لغة ما (والمقصود هنا اللغة العربية على وجه التحديد) ، الى المتلقي في نفس اللغة ، بل هم يردون على " من ينصر الشعر - اي الشعر العربي - ويحوطه ويحتج له " (٣٨) وعلى من يقول : وفضيلة الشعر مقصورة على العرب ، وعلى من تكلم بلسان العرب والشعر لا يستطاع ان يترجم ..(٣٩)ويقول ايضا : " .. ولو حولت حكمة العرب (يعني شعرهم) لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن ، مع انهم لو حولوها لم يجدوا في معانيها شيئا لم تذكره العجم في كتبهم .."(٤٠)

واذا كان الشعر العربي على هذه الصورة التي يعرضها له المدافعون عنه والمناصرون له ، فمن الطبيعي ، اذن ان يكون " نفعه مقصور على أهله "

ويوضح هذا ويؤكده قول شخص آخر من المدافعين عن منافع الكتب المترجمة مجادلا من ينصر الشعر ؛" اذا كان الامر على ماقلتم (من ان الشعر لايستطاع ان يترجم .. ومتى حول .. ذهب حسنه .. ولم يجدوا فيه شيئا لم تذكره العجم ..) والشأن على ما نزلتم ، أليس معلوما ان شيئا هذه بقيته وفضلته (يقصد الكتب المترجمة على مافيها من نواقص واخطاء في الترجمة فان ما يبقى منها من المنافع الحقيقية العملية) حري بالتعظيم ، وحقيق بالتفضيل على البنيان والتقديم على شعر ان هو حول تهافت ونفعه مقصور على أهله .."(٤١)

واما قوله .. " هو يعد من الادب المقصور وليس بالمبسوط " فيعني به انه من الادب المقصور (في منافعه وفوائده) على اهل لغته فقط ، وليس بالمبسوط (اي الممتدة فوائده ومنافعه) الى خارج لغته ، اي انه ليس مستطاعا ان يترجم الى لغة أخرى فتبسط فوائده ، بذلك ، وتمتد منافعه الى اهلها ايضا كما هو الشأن في العلوم والمعارف والصناعات ، وقد استعمل الجاحظ لفظة " المبسوط " بهذا المعنى في موضعين آخرين من هذا الجزء نفسه من كتاب الحيوان (٤٢) .

ان هذا هو مضمون نص الجاحظ وليس ما ذهب اليه الدكتور احسان عباس اذ قال :

".. ولذلك فانه ادب مقصور (في منفعته وفي تعبيره عن حقائق الحياة بطريق الصور) وليس مبسوطا (كماتبسط العلوم وتتحمل البرهان والتجربة) وما دام الشعر لا يحتمل التجربة والبرهان فانه اذا حول (عن سياقه الايقاعي او الصوري الى سياق عملي) تهافت ، ذلك هو ما اراه في تفسير هذه العبارة "(٤٣)

واما قوله " ومن المنافع الاصطلاحية وليست (منفعته) بحقيقة بينة " فقد اقترح الدكتور احسان عباس ، واصاب ، ان نضع موضع " اصطلاحي " لفظة " تقديري اي ان نضع بدل " اصطلاحية " لفظة " التقديرية " ليصح المعنى ، والمقصود كما اري ان المنافع المتأتية عن الشعر تقديرية اي ، تقدر انها تحصل في النفس بأن تهذب النفس وتقومها وتغني تجاربها بها ، ومثلا ، وهذه كلها ، لو حصلت فعلا فليست بالمنافع الظاهرة البينة التي نستطيع ان نتلمس نتائجها بوضوح ، وفي حينها .

يظهر من هذا التحليل لنص الجاحظ انه ليس هناك من اثر لتأثر الجاحظ بالثقافة اليونانية (٤٤) فيما عرضه ، هنا من امور الشعر وطبيعته بل ان تفكيره فيه عربي خالص يعالج القضايا بالتحليل الواقعي لعناصرها ويعرضها باسلوب الحوار الجميل الاخاذ فتبدو لنا وكأنها محاورة مشوقة في مشهد من مسرحية جادة .

٥ – النقد الداخلي للنص :

يلجأ الجاحظ الى هذه الطريقة في النقد لتمييز الشعر الصحيح من المنحول، وتقتضي هذه الطريقة خبرة عالية بالاساليب التعبيرية التي يتميز بها كل اديب ، ليمكن تمييز النص الشعري او النثري ، ان كان له حقا ، او كان منسوبا اليه ، ويمكن ان نفهم ايضا ، ان الناقد عليه ان يفيد ، في هذا المجال من الحقيقة الاسلوبية التي قررها الجاحظ ومر الكلام عليها .وهي ان لكل اديب مفردات خاصة يديرها في كلامه مهماكان غزير المعاني كثير الالفاظ (٤٥

ويقتضي هذا المنهج النقدي التدقيق في معاني النصوص للتحقيق من ان مضامينها كانت معروفة في العصر الذي انشيء فيه النص (٤٦) والا كانت مزيفة موضوعة .

والجاحظ في هذا المنهج ، يلتقي مع ابن سلام " فيستخدم شهادة الرواة ويتخذ تفاوت الشعر.. وسيلة يثبت بها الانتحال "(٤٧)

٦ – مقاييس انطباعية واحكام مطلقة :

تتردد في كتب الجاحظ تعليقات له على بعض ما يروي من اشعار تتضمن احكاما يختلط فيها النظر الذوقي الانطباعي والحكم النقدي المطلق ، ولا يعتمد فيها التحليل او التعليل ، بل يعبر عن وقع الشعر في نفسه ومنزلته الشاعر منها .

من هذه الاحكام الانطباعية المطلقة قوله عن المطبوعين من الشعراء المولدين .(٤٨)

" والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلي والسيد الحميري وابو العتاهية و .. وابان بن عبد الحميد اللاحقي اولى بالطبع من هؤلاء، وبشار اطبعهم كلهم ".

وقوله في المفاضلة بين حماد عجرد وبشار : (٤٩) " .. لان حمادا في الحضيض ، وبشارا مع العيوق ، وليس في

مولد قروي يعد شعره في الحدث الاوبشار اشعر منه " .

وفي تعليق له على مضمون قصيدة لابي نواس يقول فيها ابو نواس في ابان بن عبد الحميد " انه يتشبه بمجرد ومطيع و .. " يتعجب الجاحظ من هذا فيطلق حكما يقول فيه ، " وابان فوق ملء الارض من هؤلاء .." (٥٠) .

وفي موضع آخر يذكر ما اخذ على ابي نواس من الغلو والكفر المقيت وفي وضع بعض الاوصاف في غير موضعها المتعارف عليه عند العرب ، وهذه المآخذ كلها تتصل بالمعنى ، وبعد عرضه لطائفة من الامثلة عليها وبيان مواطن العيب فيها ، يقول عن ابي نواس : " ومع هذا فانا لا نعرف بعد بشار اشعر منه " (٥١) .

وربما كان هذا اقل احكامه الانطباعية اطلاقا ، لانه قيده بنفسه وبانطباعه الخاص حينما قال " فانا لا اعرف .. ولكن احكامه الاخرى كبيرة شاملة لا تحدها حدود ذاتية خاصة ، ولا موضوعية مقيدة .

ومن نقده غير المعطل قوله في ابيات لابي نواس " وابيات ابي نواس ، على انه مولد شاطر ، اشعر من شعر مهلهل في اطراق الناس في مجلس كليب " (٥٢) .

ومن احكامه العامة المطلقة من كل قيد او تحديد ، ولا يؤيدها دليل وتعليق قوله على لسان من ينصر الشعر العربي ويحتج له ، " وفضيلة الشعر مقصورة على العرب ، وعلى من تكلم بلسان العرب " (٥٣) .

وقوله عن البديع وعن تفوق العربية ، " والبديع مقصور على العرب ومن اجله فاقت لغتهم كل لغة واربت على كل لسان .." (٥٤)

وحكمه الكبير الشامل ، وان حاول ان يقيده بعض التقييد ، في قوله (٥٥) :

" والقضية التي لا احتشم منها .. ان عامة العرب والاعراب والبدو والحضر من سائر العرب ، اشعر من عامة الشعراء الامصار والقرى من المولدة والنابتة " .

وكأنه شعر ، بعد اطلاقه هذا الحكم ، بسعة هذا الحكم وانفلاته مما ينبغي له من التحرز العلمي والتحديد المنطقي ، لذلك عقب عليه بقوله :

" وليس ذلك بواجب لهم في كل ماقالوه .. فكان بذلك اقرب الى النهج العلمي الذي تتصف به كتاباته ، وادخل في النظر الموضوعي الذي رسمه في نصوصه التي ذكرناها فيما مضى .

ويرتبط قوله هذا بنظرية له مبتسرة مختصرة يكتنف مصطلحاتها الكثير من الغموض والابهام ، تتمثل في كلامه على المقدرة في قول الشعر (٥٦) :

وانما ذلك عن قدر ما قسم الله لهم من الحظوظ والغرائز والبلاد والاعراق فكأنه يرى ان القدرة على قول الشعر حظ من الحظوظ التي يتمتع بها بعض الناس دون بعض من غير ماسبب ظاهر او علة معروفة .

ويعاون هذا السبب الغيبي الغامض ثلاثة عناصر اخرى هي : " الغرائز " وهي تعبير لا يقل غموضا عن السابق ، وربما عنى بها الطبائع المواتية ، و"البلاد " اي البيئة التي يعيش في كنفها الناس ، و " الاعراق " اي الاجناس البشرية التي يتحدر منها الشاعر (*) وفي هذا بذور وملامح من نظرية " تين " المعروفة .

وربما عنى ب " العرق " النشأة المتأصلة في تكوين الانسان بكل مكوناتها من عوامل اجتماعية وثقافية ولغوية ، اذ ان الناشيء في بيئة ما تتفاعل عناصرها في تكوينه فيكون اقدر على التعبير بلغة اهلها " وعلى مجاري كلامهم " (٥٧)

اما المولد الذي نشأ في الغالب في بيئة اعجمية ، فان الاداء العربي السليم ذا الماء والرونق والطبع لا يواتيه كما يواتي العربي النشأة والجاحظ يتحدث هنا عن اللغة العربية بالذات .. ذلك لان المولد يأخذ العربية اخذا صناعيا عن طريق الدرس والتحصيل ، لا عن طريق السليقة والنشأة والطبع ولهذا احترز الجاحظ بعبارة " وليس ذلك بواجب لهم في كل ماقالوه " مراعاة للقدر الذي قد يكون لبعض العرب من الطبع وحظوظ النشأة العربية السليمة ، او لبعض المولدين ممن يتيسر له حظ من هذه النشأة ومن الطبع المواتي (٥٨)

بعد هذا العرض النقدي لاراء الجاحظ نود ان نسجل ظاهرة غريبة نلاحظها عن الكتابات النقدية عند الجاحظ وابن قتيبة وابن سلام هي ظاهرة انعدام التواصل الفكري فيما بينهم ، ذلك ان احدا منهم لا يشير الى رأي الاخر النقدي في مسألة يوافقه فيها او يخالفه وكأنهم لم يكونوا متعاصرين ، او كأنهم لم يكن احدهم يعرف الاخر ، ولم يطلع على كتاباته وارائه .

المراجع

احسان عباس : تاريخ النقد العربي عند العرب - نقد الشعر - من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري ، الطبعة الاولى بيروت ١٩٧١ .

جابر عصفور : مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨٢ .

الجاحظ : آ - البيان والتبيين تحقيق عبد السلام محمد هارون الطبعة الرابعة ١٩٤٨ ونشر الخانجي ، القاهرة ١٩٧٥ .

٢ - الحيوان : تحقيق عبد السلام محمد هارون الطبعة الثالثة ١٩٦٩

٣ - البخلاء تحقيق طه الحاجري : دار المعارف ، الطبعة السادسة القاهرة ١٩٨١

٤ - البرصان والعرجان والعميان والحولان تحقيق : د . محمد مرسي الخولي بيروت ١٩٨١ .

حكمة الاوسي : مفاهيم في الادب والنقد الناشر : دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٨

داود سلوم : مقالات في تاريخ النقد العربي بيروت ١٩٨١

عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الادبي عند العرب ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٤

ميغيل فرنانديز براسو : عزلة غابرييل غرسيا ماركيز الترجمة العربية - بيروت ١٩٨٤

هوامش

(١ - الحيوان ١٣٠/٣

٢ - الحيوان ٢٧/٢

٣ - انظر : احسان عباس تاريخ النقد .. ٩٥ و ١٠٦ و ١٠٧

٤ - الحيوان ١٣١/٣ - ١٣٢

٥ - تاريخ النقد العربي ..ص ١٨

٦ - يذكرنا رأي الجاحظ هذا، او ما نفهمه من رايه هنا ، بقول الروائي الكولومبي الشهير غابرييل غرسيا مركيز : " مهمة الروائي .. ان يكتب رواية جيدة .. لا اطالب الكاتب ان يكون محاربا سياسيا ، في مؤلفاته ، فهل يطالب الاسكافي ان يملأ احذيته مضمونا سياسيا ، انظر ميغيل فرنانديز براسو : عزلة غابرييل غرسيا ماركيز ، ص ٧٥ الترجمة العربية - بيروت ١٩٨١ .

٧ - وفي اهمية الصياغة الادبية يقول غابرييل غرسيا ماركيز : " الحقيقة لا تبدو حقيقة لانها كذلك ببساطة ، بل بفضل الصيغة التي تصاغ بها " المرجع نفسه ص ١٠٣ وقد ادرك الاحساس الشعبي هذه الحقيقة الادبية فقررها في قول مأثور باللهجة العراقية مضمونه ان الكذب المنمق خير من الصدق المخربق " اي ان العبرة في اقناع الاخرين والتأثير فيهم بالصياغة لا بالمضمون ، وعلى هذا الاساس نفسه يقوم الفن الدعائي الحديث سياسيا وتجاريا .

٨ - البيان والتبيين ١١٣/١ و ٢٢٠ وانظر تعليق الدكتور جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي دار المعارف القاهرة ، بدون تاريخ ص ٢٨٤ - ٢٨٧ .

٩ - الحيوان ٣١١/٣ - ٣١٢

١٠ - احسان عباس كتابه المذكور ص ١٠٠

١١ - البيان والتبيين ٧٦/١ فالجاحظ اذن ، لم يسو بين المعاني كما فهم بعض الباحثين ، انظر د . جابر عصفور: مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي بيروت ١٩٨٢ دار التنوير ص ٢٧

١٢ - البيان والتبيين ٨٣/١

١٣ - هذا الرأي للعتابي والجاحظ يؤيده (-انظر : عبد العزيز عتيق : النقد الادبي عند العرب ص ٣٢٨)

١٤ - البيان والتبيين ٢٥٤/١

١٥ - الحيوان ٣٩/٣ وانظر ايضا البيان والتبيين ١٤٥/١ و ٤ و ٢٤٢٣

١٦ - الحيوان ٢٨٢/١ وانظر هذا الرأي في البيان والتبيين ١٤٥/١ - ١٤٦ (نشر الخانجي ، القاهرة ١٩٧٥ ومن المواطن الاخرى التي يتحدث فيها الجاحظ عن المعنى : الحيوان ٤٥٤/٤ - ٥٤٦ والبيان والتبيين ٦٥/١ و ٧٦

١٧ - البيان والتبيين ٧٦/١ وربما كان الجاحظ اول وآخر من قرر هذه الحقيقة بين مفكري العالم في العصور الوسطى ، ايضا .

١٨ - انظر حكمة علي الاوسي ، مفاهيم في الادب والنقد - القاهرة ١٩٧٨ ص ٧ - ١٧

١٩ - الحيوان ٣٦٦/٣ وانظر تعليق الدكتور عبد العزيز عتيق على هذا النص في كتابه " تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ٣٢٨

٢٠ - البخلاء ص ٢١٤ (تحقيق : طه الحاجري) القاهرة ١٩٨١

٢١- انظر الحيوان ٣٢٧/١ - وراجع داود سلوم : مقالات في تاريخ النقد العربي بيروت ١٩٨١ ص ١٣٥ - ١٣٧.

٢٢ -البيان والتبيين ٧٦/١

٢٣ - المصدر نفسه ١٦١/١ - ١٦٢

٢٤ - انظر البيان والتبيين ١٩٣/١ و٢٢٠

٢٥ - المصدر نفسه ٢٢٥/١

٢٦ – المصدر نفسه ١٤٥/١
٢٧ – المصدر نفسه ١٤٥/١
٢٨ – المصدر نفسه ٢٨٨/١
٢٩ – الحيوان ٧٥/١ وقد اضفت (فيه) وليست في النص لان ذلك اكمل للتعبير
٣٠ – الحيوان ٧٥/١
٣١ – الحيوان ٧٥/١ – ٧٦ ٠
٣٢ – الحيوان ٨٠/١ وقد احسن الدكتور احسان عباس باضافة (منفعته) وليست في النص ليستقيم التعبير ، انظر كتابه المذكور ص : ١٠٢
٣٣ – احسان عباس : كتابه المذكور ص ١٠٢
٣٤ – المرجع نفسه ص ١٠٣
٣٥ – الحيوان ٧٥/١
٣٦ – البيان والتبيين ١١٣/١ و ٢٢٠
٣٧ – احسان عباس : المرجع المذكور ص : ١٠٣
٣٨ – الحيوان ٧٥/١
٣٩ – الحيوان ٧٤/١ – ٧٥
٤٠ – الحيوان ٧٥/١
٤١ – الحيوان ٧٩/١ – ٨٠
٤٢ – الحيوان ١/ ٧٨ و ٩٤
٤٣ – احسان عباس : كتابه المذكور ص ٩ ١٠٣
٤٤ – كما اوحى هذا الاثر : د احسان عباس في كتابه المذكور ص : ٩٨ و ١٠٢ و ١٠٣، وكما فهمه د ٠ داود سلوم في كتابه النقد المنهجي عند الجاحظ ص ٣٤ – ٣٥ نقلا عن كتاب احسان عباس المذكور ص : ١٠٣ و١٠٤
٤٥ – انظر ماسبق : الفقرة الثانية عن اللفظ والمعنى " والحيوان ٣٦٦/٣
٤٦ – انظر الحيوان ٣١١/٣ – ٣١٢ و٢٧٩/٦ – ٢٨١ واحسان عباس : كتابه المذكور ص : ١٠٠ – ١٠١
٤٧ – احسان عباس : كتابه المذكور ص : ١٠٠
٤٨ – البيان والتبيين ٥٠/١
٤٩ – الحيوان ٤٥٣/٤ – ٤٥٤ وانظر حكما له اخر في بشار مشابها لهذا ، في البيان والتبيين
٥٠ – الحيوان ٤٤٨/٤ – ٤٥١
٥١ – الحيوان ٤٥٦/٤ – ٤٥٧
٥٢ – الحيوان ١٢٩/٣
٥٣ – الحيوان ٧٤/١ – ٧٥
٥٤ – البيان والتبيين ٥٥/٤ – ٥٦
٥٥ – الحيوان ١٣٠/٣
٥٦ – الحيوان ٣٨١/٤
* – وقد استعمل الجاحظ لفظة (عرق) ، بمعنى الوراثة والاجداد ، انظر كتابه البرصان والعرجان والعميان والحولان – تحقيق : محمد مرسي الخولي – بيروت 1981 ص ٤٠
٥٧ – انظر البيان والتبيين ١٦١/١ – ١٦٢
٥٨ – وانظر تحليل د احسان عباس لهذا النص وتعليقه عليه في كتابه المذكور ص ٩٦ – ٩٧

اعواد الرجاء

يقولون الصبا روض خصيب	واين الروض في هذا العراء ؟
فلا ظل ، ولا ورق يقيني	هزيم الرعد في حلك السماء
ولا انس يطيب ، ولا حبيب	يرد حنينه عصف الشقاء
ولا قلب يجيب صدى حنيني	ولا عين تتوق الى لقائي
كأني للنوائب صرت اهلا	اداوي داءها ، فيعز دائي
على روض الشباب نثرت دمعي	عسى تخضر اعواد الرجاء

دمشق — ماري عجمي



العلامة سعيد الكرمي

(١٨٥٢م – ١٩٣٥م)

شخصية فذة مثلت الفكر العربي الاصيل

دراسة بقلم : فضل عفاش

علم من اعلام الادب العربي المعاصر وواحد من حملة المشاعل القومية التي وقفت بعناد امام الظلم والاستبداد فقيها في الدين ، عالما باسرار اللغة ، أديب يحسن الخطابة كما انه شاعر مجيد عرفه اهل عصره فاستشهدوا بأقواله وآثاره فكان مرجع ذلك العصر لطالبي الرأي والفتوى في الدين والادب .
وله دور بارز وهام في النهضة الادبية في سورية من خلال رياسته لمجمع اللغة العربية بدمشق .

حياته :

ولد العلامة العربي الفلسطيني " سعيد الكرمي " عام ١٨٥٢ م في مدينة " طولكرم " التابعة آنذاك لمدينة نابلس في أسرة فلسطينية جدها الاول هاجر الى فلسطين من مصر وكان من افراد قبيلة من عرب اليمن رافقت عمرو بن العاص ابان الفتح الاسلامي لمصر ثم استوطنت اقليم " محافظة الشرقية " منها .
تلقى العلامة سعيد الكرمي علومه الاولى في مدينة طولكرم الفلسطينية ثم ارسله والده الشيخ علي الكرمي الى مصر للالتحاق بالجامع الازهر وهناك تلقى علوم العربية والدين وتخرج من الازهر بعد بضع سنوات حضر خلالها دروس الشيخ العلامة " محمد عبده " كما اتصل بالشيخ جمال الدين الافغاني ، وتعرف على علماء البلاد في ذلك العصر ..
وعاد الى بلده فلسطين فانتسب الى سلك التعليم ثم عين مفتشا للمعارف في قضاء " بني صعب " وتولى منصب الافتاء في قضاء مدينة طولكرم .. وفي هذه الفترة تحركت طلائع النهضة العربية المعاصرة فراح سعيد الكرمي يلتحق بجمعية " حزب اللامركزية العثماني " وكانت هذه الجمعية تضم طائفة كبيرة من احرار العرب واعلامهم فعمل في هذه الجمعية وحقق ما حقق من اغراضها في مدينة طولكرم وفي البلاد الفلسطينية .
ومع اندلاع نار الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ وبعد اشتراك الدولة العثمانية فيها .. اخذت السلطة العسكرية في دمشق والبلاد الشامية تلاحق احرار البلاد للقضاء على افكارهم وعلى مطالبهم بالثورة العربية وفي سنة ١٩١٥ سيق سعيد الكرمي مع اعداد من اصدقائه

امام المجلس العرفي في " عاليه "وخكم عليه وعلى الكثيرين من احرار العرب بالاعدام غير انه نجا من الموت الذي لاقاه رفاقه الاحرار .. بفضل سنه التي كانت قد تجاوزت الستين .

وقبل انتهاء الحرب العالمية بقليل اصدرت السلطات العثمانية عفوا عاما في شهر شباط سنة ١٩١٨ .. خرج على اثره سعيد الكرمي من سجنه في قلعة دمشق بعد ان نقل اليها وقضى قرابة سنتين وسبعة اشهر سجينا .. وبعد خروجه اقام في دمشق لفترة وجيزة من الزمن ثم رحل الى بلده فلسطين .. حيث اقام هناك

ويعد جلاء الاتراك قامت في دمشق اول حكومة عربية .. فاختارت هذه الحكومة العلامة سعيد الكرمي عضوا في الشعبة الاولى للترجمة والتأليف ..فكان سعيد الكرمي من الاعضاء المؤسسين لهذه الشعبة .. فأقام في دمشق .. وعمل فيها .. فساهم في بيانه وفكره الاخاذ ببناء النهضة الادبية في سورية ، الى ان دعته الحكومة العربية التي قامت في شرقي الاردن بعد احتلال المستعمر الفرنسي للقطر العربي السوري .. فلبى الدعوة وغادر دمشق في ٩ ايار سنة ١٩٢٢ الى مدينة عمان وفيها عمل وكيلا للامور الشرعية ونصب قاضي القضاة .. كما عمل على رياسة مجلس المعارف .

وبقي هكذا حتى نهاية عام ١٩٢٦ م وفي هذا العام بالتحديد توقف العلامة سعيد الكرمي عن قبول اي منصب واعتزل المناصب الحكومية التي اسندت اليه وعاد الى مدينة طولكرم ..مسقط رأسه في فلسطين ويقي فيها طيلة حياته حتى وافته المنية ويوم الاحد في ٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٥ هـ الموافق لـ ٨ آذار سنة ١٩٣٥ وفي ثرى المدينة الفلسطينية " طولكرم " دفن .. وبموته انطوت صفحة براقة اطلت ببيانها وفكرها على الامة العربية اجمع .

من آثاره القلمية :

آثاره القلمية قليلة لا تتناسب مع منزلته العلمية والمكانة الاجتماعية التي له .. وذلك لاهتمامه في اول امره بالشؤون السياسية ولانشغاله بالمناصب الحكومية الرفيعة التي اسندت اليه .. هذا اضافة الى ما طبع عليه من زهد وحب للتصوف على انه كان في مطلع شبابه قد طبع سنة ١٨٧٥ م " رسالة في التصوف بعنوان " واضح البرهان في الرد على اهل البهتان " .

وعندما كان يعمل فيتحرير مجلة "المجمع العلمي العربي " ويبحث عن اهمية دور الكتب الوطنية وفائدتها في المجتمع العربي .. واصفا نفائس المخطوطات والعاديات معرفا بالجديد من المطبوعات ومن اهم الموضوعات التي نشرها في هذه المجلة الرائدة التي اصبحت فيما بعد مرجعا لكل باحث ومؤرخ، عن الفترات المتتالية في حياة الادب العربي في سورية .. بحث طويل بعنوان " الاعلام بمعاني الاعلام " وهو محاولة ترتيب جديد لكتاب " الاشتقاق لابن دريد وقد استغرق في المجلة ما يقرب من خمسين صفحة من القطع الكبير نشر في سبعة اجزاء مجلدين السنتين الاولى والثانية .. وهذا مطلع البحث :

" الاعلام بمعاني الاعلام " تشرين اول سنة ١٩٢١

يقول الكرمي :

العلم هو الاسم الذي يعني المسمى به من غير قرينه ليخرج منه بقية انواع المعرفة مثل اسماء الاشارة فانه لايفهم منها معناها الا بالاشارة الحسية وينقسم العلم الى اسم وكنية ولقب فالكنية ما صور بأب او ام كأبي بكر وام خالد ،او ابن او بنت ونحوهما واللقب ما اشعر برفعة سماة او حسنة كزين العابدين وبطة والاسم ما عداهما .

وهو ينقسم الى قسمين بحسب لفظة منقول عن شيء سبق استعماله فيه قبل العلمية مثل أسد وحارث وتأبط شرا ونحوها ومرتجل وهو ما استعمل من اول الامر علما ومثل له ابن مالك في الفيّة بسعادي وادد هكذا قالوا وعن سيبويه ان الاعلام كلها منقولة اي لان الاصل في الاسماء التنكير ولا يضر جهل المعنى الاصلي للاسم الذي يتوهم انه مرتجل ، والدليل على ذلك انك لا تجد اسما الاله معنى فسعادى اسم طيب معروف كما في القواميس وادد يجوز ان يكون جمع اداة بمعنى المرة من الودة والهمزة بدل من واو كما في اقتت لانه اصله وقتت وقد وقفت على ما املاه ابو الحسين احمد بن فارس صاحب المحجل المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، في معاني حروف الهجاء فيتقنت صحة قول سيبويه السابق فانه قال الالف الواحد من كل شيء والباء النكاح ومثلها البآه والتاء والمرأة السليطة والثاء العلبة التي تحلب فيها الناقة والجيم سرادق البيت والخاء الخنثى واسم قبيلة من اليمن والخاء الشعر على العانة والدال الرماد والماتم "وهو الذي يستقي الماء وهو على رأس البئر اما المائح فهو الذي يملأ الدلو وهو في قعرها وسئل الاصمعي عن المتح بالتاء والمحيح بالياء فقال الفوق للفوق والتحت للمتحت

والذال التراب اللين كالطحين والراء شجر معروف واحدتها راءة والزاي جلدة يابسة والسين جبل بالشام . والشين التفاح والصاد قديرة (تضفير قدر " من صفر (نحاس اصفر) وقد يقال منحديد او حجر والضاد الوعل المسن وقيل صوت المنخل والطاء الكبش العظيم والامكنة السهلة واحدها طاء والظاء الفظ الغليظ الجافي والعين اسم لا شياء كثيرة منها الباصرة والجارية .
والذهب وغير ذلك والغين السحاب ، ذو الغيار والعطش والفاء لحم الفخذ والقاف الشعر المتدلي من القفا يقال اخذه يقوف رقبته وبقاف رقبته والكاف الوكيل والكل من الرجال واللام جمع لامة وفي الدرع والميم ورق الشجر اول مايبدو والميم وكذا الموم البر سام والنون السمك والدواة والهاء اللهاة والواو الموت والفحل من الابل ولا الشسع والياء حكاية الصوت وحرف النداء .

وله بحث اخر بعنوان " اللغة والدخيل فيها " استغرق نشره تسع صفحات من المجلد الاول هذا مطلعه ..

" اللغة والدخيل فيها "

اللغة هي اصوات يعبر عنها كل قوم عن اغراضهم كما قال ابن جني في الخصائص وتبعه كثيرون منهم صاحب القاموس .واما علماء الاصول فقالوا هي الالفاظ الدالة على المعاني واما علم اللغة فهوعلم يبحث فيه عن مفردات الالفاظ الموضوعة من حيث دلالتها على معانيها بالمطابقة اذ الدلالة التضمنية والالتزامية عقليتان لا لغويتان كما ذكره المناطقة .
واختلف هل هي توفيقية لا تعلم الا بطريق الوحي فيكون الواضح لها هو الله تعالى او غير توفيقية فالواضح لها البشر كذا وبعضها كذا بكل من هذه الاقوال جماعة ولهذا الخلاف فائدة اصولية نحوية فان قلنا بوضع البشر جاز قلب اللغات بان يجعل اللفظ الموضوع لمعنى الى غيره والا فلا هذا ولم تضبط لغة من اللغات ضبط اللغة العربية ولا تفنن اهل لغة في اساليب تأليفها كأهلها وذلك لكثرة تصاريفها وصيغها وكل حرف زيد في كلمة منها ادى معنى غير ما كان قبله هذا الى مترادفها ومشتركها واضدادها ومنعجائبها التصرف في تسمية الشيء الواحد باسماء مختلفة الاختلاف الاحوال كتسمية الطفل من بني ادم ولدا ومن الخيل فلوا ومهرا ومن الابل فصيلا ومن البقر عجلا ومن الغنم سنجلة وعناقا ومن الغزال خشفا ومن السبع شبلا .
وكطعنة بالرمح وضربة بالسيف ورماه بالسهم ووكزه باليد ونحوها ومن غرائبها ايضا مخالفة الالفاظ للمعاني كقولهم فلان يتخنث اي يفعل فعلا يخرج به من الحنث وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحي اليه كان يتحنث ، اي يتعبد وكذلك يتحرج اذ فعل فعلا يخرجه من الحرج وفلان يتهجد اي يخرج من الهجود وهو النوم بقيام ومن اغرب ما فيها تباين معاني الالفاظ بتغمين بعض حركاتها كالمثلثات او بتبديل حرف بآخر قريب منه كالطهر والضهر ونحوهما من الالفاظ التي تتعاور عليها الالفاظ الشالة والضاد المنظومة في قول بعضهم.

يدعى نُقيض البطن باسم الظهر
وصخر ع في جبل بالضهر
والقيظ في الصيف بمعنى حره
والقيض في البيض لبادي قشره
والغيظ والفيض وقل فاظ اذا
مات وهذا الماء قد فاض كذا
ظن وضن باخل والحنظل
للبنت والظل المديد حنضل
والظب للهادر ثم الضب
والظرب نبت عندهم والضرب

او بحذف نقطة او تغيير حركة من اللفظ كالذفر و بالذال وتحريك الفاء وهو كل ريح قوية من طيب او نتن يقال مسك اذ فريقان للصنان ذفر ورجل اذفر واما الدفر بالدال المهملة واسكان الفاء فالنتن خاصة ومن ذلك سميت الدنيا ام دفر ويقال للامة اذ سبت يافار ، او بزيادة حرف نحو ملحت القدر اذا وضعت فيها ملحا بقدر الحاجة وملحتها وملحتها بتشديد اللام اذا اكثرت ملحها الى غير ذلك من التعريفات ثم مما مهد لها مجال الاتساع التجوز عن المعنى الاصلي الى غيره لعلاقة بينهما تكفل بديانها علم البيان بالمجاز المرسل او الاستعارة باقسامها او الكناية ثم مجيء الشريعة الاسلامية الغراء باوضاع دينية استعملت لها الفاظا لمعاني لها علاقة بالمعنى الاصلي حتى صارت حقيقة عرفية فيها منذ اهلهاكالصوم والصلاة والزكاة والحج وغيرها وقل ذلك في العلوم التي دونت لاجلها كالنحو والصرف والاصول ، فان مصطلحاتها صارت في الحقيقة العرفية الخاصة .

سعيد الكرمي ايار
سنة ١٩٢١ .

كما التقى العلامة سعيد الكرمي في ردهة محاضرات المجمع العلمي العربي بتاريخ ٨ تموز ١٩٢١ محاضرة بعنوان " بماذا

يكون انتظام المجتمع الانساني " وقد نشرت في مجلة المجمع وجاء في اربع عشرة صفحة .
ومن اثاره قصائد حاكى فيها شعراء الجاهلية بالجزالة والصور والبدوية كما له شعر من قبيل الموشحات ونظم على طريقة علماء اللغة في تسهيل النحووبعض علوم اللغة كما كان يعنى بنظم شعر التاريخ ..

وهكذا .. كان العلامة سعيد الكرمي من طلائع رجال النهضة العربية المعاصرة ومفكرا فذا مثل الفكر العربي الاصيل لا يتساهل ولا يتلون .
ويبقى " سعيد الكرمي " من عداد شوامخنا المعاصرون الذين كان لهم الفضل الاكبر في النهضة الادبية في القطر العربي السوري .. وفي العالم العربي اجمع .

فضل عفاش

الشاعر

خليل مردم بك

مخلوق خالق ، وروح خالد ، يصور من خفقات قلبه ، وخلجات ضميره ، وابداع فكره ، اشباحاً ينفخ فيها من روحه فاذا هي من الخالدين ملك او جني ، هبطت روحه من عالم الغيب فتمثلت بشراً سويا ، فهو مع بني الانسان ولكنه غريب عنهم فما يزال يصيخ الى هينمة الملائكة في السماء ، او عزيف الجن في الصحراء ويستشف من وراء الافق عالما نورانياً ، ويتبين في الجو مسارح انسه الاولى ، ومعاهد هواه القديم :

« لابنة الجني في الجو طلل [1] »

فهو يقظان حالم ، انكر الناس امره ، وحاروا في شأنه ، « وقالوا شاعر او مجنون » .

يأنس بالوحدة لأنه من نفسه في عالم ، ويؤثر السكون ليسمع جلجلة الوحي واصداء الارواح ، ويسكن الى الظلام ليشاهد الرؤى والاشباح ، ويغمض عينيه ليرى مافي السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى » .

وارحمتا له ! القطرة على الزهرة دمعة على خد ، والغصن حيال الغصن وقدٌ يهفو الى قد ، والظلال اشباح والنسائم ارواح ، وفي العبير عبقة من ريح احبابه ، وفي الزهر بشاشتهم ، وفي البرق اشواق تشب ، بل في كل ما يرى ويسمع ويتخيل معانٍ حية يخفق لها الشعر في قلبه ، ويجيش في صدره ، ويثير في نفسه هزة ترتعش لها بداه ويقشعر جسمه فيطل الشعر من عينيه دمعاً ، ويجري على لسانه سحرا .

ما قرأ الناس من شعره الا ما تقمص اللفظ ، لان ديوانه اوسع من ان يحاط به ، فمن قصائده ما يخفق في قلبه ، ومنها ما يحيك في صدره ، ومنها ما يتمثل في مخيلته ، ومنها ما يشع في بصره ، ومنها ما يفيض من عينيه .

لا يعرف الاعتدال في شيء ، لانه واسع الخيال ، حاد الحس ، سليم القلب ، فاذا عبد تبتل ، واذا صبا هوى ، واذا تعفف تقشف ، واذا تنعم اسرف ، يهيم في كل واد ، ويسمو باحلامه الى السبع الشداد .

نبأ من الملأ الأعلى انكره اهل الحياة الدنيا « وقالوا شاعر او مجنون»

خليل مردم بك

---

(١) قائله مدرج الريح العبسي الشاعر كان يزعم انه يهوى جنية ويجتمع بها في الهواء .

الثقافة العربية والوحدة العربية

لكل امة سماتها المتميزة رغم اشتراكها بقواسم متعددة مع بقية الامم ، ولكل شعب خصائص ولكل مجتمع انساني مشكلاته واهتماماته واهدافه وتلعب هذه السمات والخصائص والاهتمامات دورها الكبير اثناء انتقال الامة من وضع الى وضع آخر يضاف لذلك عوامل متعددة تلعب أدوارها المختلفة اثناء تنقلات وتطورات الامم وقد يلعب هذا العامل او ذاك دورا مهما في مرحلة معينة وقد يختلف دور هذا العامل في مرحلة اخرى .

وطالما ان امتنا العربية تعيش واقعا استثنائيا وظروفا غير طبيعية وتعمل جماهير هذه الامة للانتقال نحو هدف الوحدة القومية وتجاوز واقع التجزئة والتمزق وتعمل الامة لمواجهة التحدي الصهيوني من خلال الانتقال لبناء الدولة القومية عبر حالة النهوض القومي الشامل المأمول على طول الساحة العربية وعلى ذلك يجري عبر انتقال الامة من وضع غير صحي الى وضع طبيعي ، وعادي يحققه الشعب العربي من خلاله مصالحه المشروعة ضمن مجتمع عربي موجد .

فاذن لا بد لعوامل متعددة ان تلعب دورها في مراحل التغيرات المنشودة في مجتمعنا العربي ولا تختلف مراحل تطوير امتنا العربية عن مراحل تكونت من خلالها امم أجنبية الا من خلال السمات المتميزة وخصائص العرب ومشكلات واهتمامات واهداف المجتمع العربي اما من حيث التوجه العام فأمتنا العربية مثلها بقية امم الكوكب الارضي تسعى نحو الوحدة القومية لانها تسعى نحو الحياة وتتفق بذلك مع سير التاريخ الطبيعي ولشعوب الارض والمجتمعات الانسانية .

والعوامل المهمة في نشوء الامم وفي تكوين الدول كما هو معروف عوامل اقتصادية وعسكرية وسياسية وثقافية وبالتالي عوامل حضارية متشعبة ومتشابكة ومؤثرة ومتأثرة بالخصائص وبالظروف وبالاهداف ولها علاقة بالاوضاع المحلية وبالاوضاع العالمية ، ويلعب الوضع الخاص والوضع العام دورا كبيرا بالمسألة ولكن لا بد ان نعرف المؤشرات العامة نحو تميز عامل من عامل ونحو اهمية عامل بالنسبة لعامل آخر في قضية بناء دولتنا العربية المعاصرة التي هي الشخصية القانونية لامتنا العربية والتي هي هدف طموحاتنا القومية .

ونعتقد ان بظروفنا القومية الحالية يتميز عاملان ويتقدم عاملان اما العاملان المتميزيان في مسائلنا القومية فهما العامل الاقتصادي والعامل الثقافي، اما العاملان المتقدمان فهما العامل السياسي وملحقه العامل العسكري، وحتى ان العامل الاقتصادي فهو يشكل آخر متأثر جدا بالعامل السياسي وفي اكثر الاحيان تابع له .

اما العامل الثقافي ورغم تأثره الكبير ببقية العوامل الا انه في هذه المرحلة بالذات مرحلة التكوين القومي ومرحلة مواجهة الغزو الثقافي الصهيوني على كل المستويات وفي كل المجالات يبقى هذا العامل بدون اهمال بقية العوامل الاخرى الرمز الحضاري للامة العربية وهي تواجه عدوها القومي المتمثل بالصهيونية العنصرية وحماتها الاستعماريين ويبقى هذا العامل هو الوجه والطريقة والاسلوب الذي يمنع الامة من الانهيار ومن جهة والذي ايضا يجدد العقلية العربية

ويجعل الجماهير العربية قادرة ، على مجابهة المشكلات حتى يتم دحر الصهيونية وتحقيق الوحدة القومية الشاملة .

والعامل الثقافي بهذا المعنى له وجهان وجه اصالته من التراث الامة وثقافتها وتجاربها ووجه معاصره يتجلى بالفكر القومي والتقدمي وبخبرات وتجارب الجماهير وطلائعها المستمرة والمتواصلة وبافكار التحديث والتمدن والعلائق مع الشعوب وبآمال واهداف وهواجس الجماهير المستمرة التي تعمل على التفاعل مع الواقع وعلى التخلص من السلبيات وعلى تدعيم الايجابيات وعلى خلق المجتمع الذي تستطيع الجماهير ان تمارس دورها الخلاق والمبدع فيه وضمن اطار قومي عربي متحرر .

وهنا يكون للثقافة دورها الفعال والمتميز في مرحلة انتقال امتنا العربية من واقع التجزئة الى واقع الوحدة القومية بل ان الثقافة هي العامل الذي تستند عليه بقية العوامل فمن ظروفنا وواقعنا الحالي على مستوى الوطن العربي والثقافة هي الرحم الذي ينمو فيه الفكر القومي الوثاب في عصرنا الحالي الذي هو العمود الفقري في عملية بناء الجسم العربي المعافى من امراض الطائفية والعشائرية والاقليمية والذي يسعى لتكوين الاطار العام القومي الذي من خلاله تجابه التحديات الامبريالية والصهيونية ومن خلاله ايضا تصنع الجماهير العربية تجاربها النشطة لتحقيق الامن والعدل والمستقبل الافضل للامة .

وكما ان الثقافة العربية هي العامل الرئيسي في توحيد آمتنا وهي وجه الجماهير العربية وعلى كل المستويات لمجابهة التحديات فان هذه الثقافة ايضا هي الارضية التي تستند عليها بقية العوامل الاخرى من سياسية وعسكرية واقتصادية وذلك من اجل دفع تلك العوامل لتحقيق نهضة قومية شاملة تتخلص بها من الازمات ونحقق المستقبل العريض لجماهير الامة وتتحقق ايضا مصالح الامة العليا .

وهكذا فان للثقافة دور كبير في عملية البناء القومي واهميتها كبيرة جدا بما تمثله حركة القومية العربية على الساحة العربية وطبيعي ان للمثقفين العرب الدور البارز في استنهاض الجماهير وفي توجيه هذه الجماهير نحو مصالحها ونحو كل مايخدم هذه الجماهير في عملية الصراع ضد العدو الصهيوني وفي عملية البناء القومي الشامل ، و ان المثقفين العرب هم جنود الامة وهم حملة مشاعل القومية العربية ودورهم في تحقيق الرسالة القومية كبير طالما أدوا الامانة وقاموا بالواجب القومي وكل ذلك يبقى صحيحا طالما عمل المثقفون ضمن المجال الثقافي القومي الصحيح..

وهنا نصل الى فكرة ليست كل ثقافة صحيحة فالفكر العشائري والطائفي والاقليمي تعارضه الثقافة الصحيحة ، وكذلك فان الدعاية الصهيونية والاعلان الاستعماري ايضا تعارضهما الثقافة الصحيحة ، فالثقافة الصحيحة اذن هي الثقافة المستندة الى اسس علمية والتي تخدم الجماهير والمستقبل العربي وبالتالي ، فالثقافة الصحيحة هي ثقافة القومية المستندة الى سمات الامة الحقيقية والمتفقة مع خصائص الشعب والعاملة على تطوير المجتمع بما يؤهله لحل مشكلاته وتلبية اهتماماته ورغباته المفيدة وتحقيق اهدافه المشروعة .

ولا شك كما انه للثقافة القومية جذورها الجماهيرية والاصيلة فانه للثقافة القومية بعدها التحرري المعادي للعنصرية وللاستعمار وكذلك فان للثقافة القومية توجهها الانساني السليم الذي يقوم على اسس تعاون مجتمعنا العربي مع بقية المجتمعات الانسانية بما يخدم مستقبل الانسان ومستقبل التعاون بين الشعوب المحبة للسلم وللحرية وبهذا الاطار والاتجاه تكون الثقافة العربية هي وسيلة هامة للجماهير لتحقيق الوحدة القومية .

محمد صافي علي

الدكتور العلّامة

كاظم الدّاغستاني

بقلم : عبد المعين الملوحي

١ ـ حياته وأعماله في الوظيفة ٠
٢ ـ نشاطه الأدبي
أ في مجلة (الميزان) عام ١٩٢٥ ٠
ب ـ في مجلة (الثقافة) الاولى عام ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤ ٠
وذلك حسب الاجناس الادبية
آ ـ الترجمات
٢ ـ الابحاث والمقالات
٣ ـ العرض والتعريف
٤ ـ القصص
د ـ في مجلة (المعرفة)
هـ ـ في مجلات مختلفة
٣ ـ كتبه الثلاثة :
١ ـ دراسة اجتماعية حول الاسرة المسلمة المعاصرة في سورية ، وهي اطروحته في الدكتوراه ٠
٢ ـ "عاشها كلها " وهو الكتاب الذي يحبب للانسان الحياة
٣ ـ حكاية البيت الشامي الكبير ، وهي وثيقة تاريخية عن حياة أسرة دمشقية ٠
٤ ـ محاضراته :

عرفته في آخريات حياته ، كـان يزورنا يوميا تقريبا في حديقة ابن سيناء ، فاذا جاء تحول مجلسنا رأسا الى مجلس حبور وسرور ونكات تتخلله لمحات فكرية وثقافية بارعة .

هذا الرجل العجوز يتمتع بحيوية فائقة تبذ حيوية الشباب ،وبروح عالية رفافة تفيض على من حولها ألقا وخفة وطرافة .

وشعرنا فورا أننا في حضرة انسان كبير عانى في الحياة ما عانى ،وجرب أكثر مما جربنا ، ولكن الحياة زادته ايمانا، بأنها تستحق ان تعاش ، والحق أنه " عاشها كلها " .

أهديته كتاب رسول حمزاتوف " داغستان بلدي " فذكر لي أنه قرأ الكتاب بالفرنسية ، وأنه يحتفظ بالكتاب في مكتبته . وبعد أيام جاءني ليهديني كتبه الثلاثة ، وعلى صفحاتها الاولى اهداء طريف لا أستحقه ولا أستحق شيئا منها .

وانقضت على تعارفنا سنوات ، زراني في بيتي وزرته في بيته ، وكان في كل لقاء يتحفني بخبر علمي أو فكري أو ثقافي ، ثم يتبعه بنكتة رائعةكان يجيدها الى حد مذهل .

وفجأة انقطعت زياراته ، وتعقبنا السبب ، فاذا هذا الرجل المرح النشيط يعتزل في بيته ويقرر ألا يخرج منه الا الى قبره ، الحق أننا سمعنا منه قبل انقطاعه كلمات عن الموت وهوله ، ماكنا نسمعها منه عند بدء معرفتنا به .

قال لنا ذات يوم :

رأيت اليوم السيدة ... وكانت من أجمل نساء دمشق وأحلاهن ، فاذا هي عجوز دردبيس (وكرر هذه الكلمة بالذات مرارا وعندما سألتها عن اسمها قالت :

– ألا تعرفنني يا دكتور .. أنا فلانة ..

وصحت فورا :

– ولي علينا أهكذا صرت ؟

ونظرت الى نفسي في المرآة فتبين لي أنني أصبحت مثلها عجوزا ، ولكن الانسان والرجل على الخصوص لا يرى ما أحدث الدهر فيه ، ويرى ما أحدث الدهر بالمرآة ، ولعل منأسباب عزلته في بيته حتى موته معرفته بما فعل الدهر به .

وكنت في حمص عندما توفي المرحومالدكتور الداغستاني ، فلم أشترك في جنازته ولم ألق في قبره حفنة تراب هي آخر عهد الاحياء بالاموات .

وظللت شهورا أنتظر أن أقرأ عنه مقالا او تحقيقا ، فقدكان الرجل من طلائع نهضتنا الادبية والاجتماعية الحديثة فلم أقرأ الا مقالا واحدا ، وانتظرت أن أسمع عنه حديثا اذاعيا فلمأسمع شيئا وسألت نفسي : أيجوز أن يطوى اسم هذا الرائد من حياتنا فلا نذكره ولا نكتب شيئا عنه .

لقد كان ظلم الاحياء للموتى من أشد ما شغلني وآذاني في حياتي ، أهذا الرجل الذي أسهم في مجلة الميزان منذ عام ١٩٢٥ يموت ذكره ؟ أهذا الذي كان أحد مؤسسي مجلة " الثقافة " الطليعية يطوى خبره ؟

أهذا الرجل الذي بنى ضريح (أبي العلاء المعري) يوم كان قائم مقام في المعرة لا يحظى بكلمة رثاء ؟

وقررت أن أرفع شيئا من الظلم الذي حاق به ، وفاتحت أخي الاستاذ مدحة عكاش صاحب مجلة " الثقافة " في الموضوع فرحب بالفكرة ، وأبدى استعداده لاصدار عدد خاص من مجلته الراقية عنه، ونشر هذا الملف كله ، واعادة نشر بعض مقالات الدكتور الداغستاني .

كما أبدى الاخ الاستاذ هاني الحاج مرئيس

تحرير مجلة " هنا دمشق " استعداده لنشر قسم من الملف ، وشجعني هذا الموقف النبيل وقمت بزيارة لبيت المرحوم وقابلت زوجته المحترمة السيدة انعام العظم ، فأبدت من الترحيب والشكر ما أخجلني .

دخلت مكتب الاستاذ الداغستاني .

ما أصعب الموت .. وما أقساه .

كل شيء في المكتب كما كان ..

الكتب والمجلات والمنضدة والاقلام على حالها ما تزال في أماكنها كما تركها ، صاحبها وحده هو الذي يرقد في قبره وحيدا هنالك في سفح جبل قاسيون .

وبدأت أتلمس الكتب والدفاتر والمجلات في قدسية ، وأقبلت على كتابة الملف في همة وحب ، تحيط بي آثار فقيدنا العزيز .

كنت أعرف عن المرحوم الدكتور داغستاني شيئا فتكشفت لي أشياء وأشياء ، هذا الانسان حمل على منكبيه تاريخا طويلا من النضال في ميدان الأدب والفكر والثقافة ، يوم بدأت بلادنا طريقها الى الحضارة .. من جديد ..

وأنهيت الملف في بضعة أسابيع ، وها هو ذا أمام القارئ العربي .

كل ما ارجوه أن أكون قد رفعت عن هذا الانسان الكبير شيئا من الحيف ، وبعض ما ارجوه بعد صدور هذا الملف أن يعينني أصدقاؤه واخوانه على تدارك ما فيه من نقص ، لعلي أنشر هذا الملف وما يأتيني من تصحيح ، في كتاب يكون لائقا بماقدمه الدكتور داغستاني من جهد لبلاده على العموم ، ولدمشق على الخصوص ويضم بعض آثاره .

عبد المعين الملوحي

حياته وأعماله في الوظائف

١ – ولد المرحوم كاظم الداغستاني في دمشق عام ١٩٠٠

٢ – درس في المدرسة الشرقية في زحلة .

٣ – ثم في المدرسة السلطانية في دمشق.

٤ – ودرس الحقوق في الجامعة السورية في دمشق ونال اجازة الحقوق .

٥ – اوفد الى الدراسة في جامعة السوربون في باريس عام ١٩٢٨ ونال شهادة الدكتوراه في الآداب .

٦ – بدأ حياته في الوظيفة قبل سفره كاتبا في الديوان براتب قدره ٨٠٠ قرش تركي .من عام ١٩١٩ – الى عام ١٩٢٠

٧ – نقل منشئا في ديوان مجلس الوزراء، في اول حكومة عربية في سورية عام ١٩٢٠

٨ – عين بعد عودته من باريس قائم مقام في معرة النعمان عام ١٩٣٨ وقام في المعرة بعملين هامين :

١ – قام بتنوير المعرة بالكهرباء أول مرة .

٢ – قام بتجديد ضريح أبي العلاء المعري وتشييد بناء حوله .

وبقي في المعرة الى عام ١٩٤٠ براتب قدره ٢٢٫٥٠ ق . س .

٩ – نقل مديرا لمكتب رئيس مجلس الوزراء

١٠ – ومديرا لغرفة رئاسة الجمهورية .

١١ – عين محافظا بالوكالة لمحافظة حوران عام ١٩٤٢ براتب شهري مقداره ١١٠٠٠ ق . س

١٢ – أعيد الى دمشق وعين مفتشا اداريا في وزارة الداخلية .

١٣ – عهد اليه بمديرية الدفاع السلبي بالاضافة الى وظيفته في الداخلية عام ١٩٤٤

١٤ – أوفد الى مصر لتمثيل الحكومة

السورية في لجنة الجنسيات والجوازات في جامعة الدول العربية عام ١٩٤٦ ·

١٥ – تزوج عام ١٩٣٥ بالسيدة انعام عزة العظم ·

١٦ – وله ولد واحد هو الدكتور نجيب الداغستاني ولد عام ١٩٤٠ ·

١٧ – أحيل الى التقاعد قبل بلوغه السن القانونية بناء على طلبه وعمل فترة في المحاماة ·

١٨ – توفي يوم ٢٦ ايلول ١٩٨٥ ودفن في دمشق ·

واعتكف في بيته في أخريات حياته ينتظر الموت ، حين هاله ما فعلت الايام بشبابه

نشاطه الادبي :

بدأ المرحوم الدكتور الداغستاني نشاطه الادبي في سن مبكرة ، وهذه قائمة بأسماء المجلات التي شارك في الكتابة فيها أو في اصدارها :

١ – في مجلة (الميزان) :

في عام ١٩٢٥ انشأ المرحوم أحمد شاكر الكرمي (١٨٩٥ – ١٩٢٧) مجلة الميزان في دمشق ، وعاشت بين عامي ١٩٢٥و١٩٢٦ ، فقط وكان الدكتور الداغستاني من كتابها وذلك قبل سفره الى فرنسا وهذه عناوين بعض ما نشره فيها باسمه الصريح أو باسم مستعار

الرقم	عنوان المقال	العدد	السنة	التاريخ	ملاحظات
١	شيء بسيط	١	١	٢٠ كانون الثاني ١٩٢٥	
٢	الزوجة الخاطئة	٣	١	٣ شباط ١٩٢٥	ذكر على مقال بهذا العنوان بتوقيع مراقب في العدد الثاني
٣	الحمد لله ··	٣	١	٣ شباط ١٩٢٥	
٤	فرح الحزن وحزن الفرح	١٥	١	٥ أيار ١٩٢٥	
٥	رواية الدوقة (آن)	١٨	١	٢٦ أيار ١٩٢٥	
٦	الحياة البسيطة مصدر الهناء عن (ايفون سادسي	١٩	١	٢ حزيران ١٩٢٥	

وتعتقد ان للمرحوم مقالات أخرى في هذه المجلة فهناك مقالات وقعت بحرف (ك) ، وهناك انقطاع طويل من العدد الثالث الى العدد الخامس عشر لا يرد فيه اسم الدكتور ، كما أن هنالك مقالات في المجلة تتناول تراجم من الادب الفرنسي ومن الحياة الاجتماعية نحس فيها بروحه وأسلوبه ، والمشكلة ان معرفة هذه الامور طويت في موت الدكتور والمعرفة الصحيحة لا تبنى على الظن والتخمين .

٢ ـ مجلة (الثقافة)

كان المرحوم الدكتور احد منشئي مجلة " الثقافة " الاولى عام ١٩٣٣ وهي من أوائل المجلات الجدية التقدمية في العالم العربي ومؤسسوها هم السادة :

١ ـ خليل مردم بك
٢ـ د. جميل صليبا
٣ ـ د . كامل عياد
٤ ـ د . كاظم الداغستاني

وقد نشر الدكتور الداغستاني في هذه المجلة ألوانا من الادب منها التراجم والقصص والابحاث ، وبعضها باسمه الكامل وبعضها بتوقيع ك ،د . وبعضها بتوقيع المراقب . وبعضها دون توقيع حرصا على تكرير اسمه مرارا في العدد الواحد .

وأنا أحاول في هذه القائمة سرد ما عثرت عليه من مقالات الدكتور حسب الموضوعات لا حسب التسلسل الزمني حرصا على النوع الادبي وتسهيلا للباحثين :

١	١	الى مؤسسي مجلة الثقافة	غابريل بوفور	١	١	نيسان ١٩٣٣
٢	٢	لماذا يدرس المستشرقون اللغة العامية	أدمون صوسه	١	١	نيسان ١٩٣٣
٣	٣	علم الاجتماع وعلم وصف الجماعة	جان غولمييه	٢	١	أيار ١٩٣٣
٤	٤	صيف في اوروبا	جان غولمييه	٦	١	تشرين الثاني ١٩٣٣
٥	٥	صيف في اوروبا	= =	٧	١	كانون الاول ١٩٣٣
٦	٦	=	= =	٨	١	كانون الثاني ١٩٣٤

٧	٧	الكتابات العربية المنقوشة وفائدتها	جان سوفاجيه	٢	١	أيار ١٩٣٣

ب الابحاث و المقالات :

الرقم الخاص	الرقم العام	العنوان	العدد	السنة	التاريخ
١	٨	الحق و الواقع	١	١	نيسان ١٩٣٣
٢	٩	خصم جديد	٢	١	أيار ١٩٣٣
٣	١٠	عمل الجماعات في سورية	٤	١	تموز ١٩٣٣
٤	١١	العائلة في أفريقيا الشمالية	٦	١	تشرين الثاني ١٩٣٣
٥	١٢	أيتها الضعيفة	٦	١	= =
٦	١٣	ظاهرة سورية	١٠	١	حزيران ١٩٣٤
٧	١٤	حرية الرأي في الشرق العربي	٤	١	تموز١٩٣٣
٨	١٥	المسرح و المقصف	٧	١	كانون الاول ١٩٣٣

ج : العرض و التعريف :

١	١٦	ابن خلدون	٤	١	تموز ١٩٣٣

٢	١٧	نظرات في الشعر الرمزي	٥	١	آب ١٩٣٣
٣	١٨	رجال المال والاعمال	٦	١	تشرين الثاني ١٩٣٣
٤	١٩	الورد الابيض	٦	١	= =
٥	٢٠	كواكب في فلك	٦	١	= =
٦	٢١	موت اللغات	٩	١	نيسان ١٩٣٤
٧	٢٢	سلمان الفارسي	٩	١	= =
٥	٢٣	أميرة السياسة (براين اوين)	١٠	١	حزيران ١٩٣٤
٩	٢٤	العامي النبيل	١٠	١	= =
١٠	٢٥	المراحل	٢	١	أيار ١٩٣٣
١١	٢٦	تقويم الهلال لسنة ١٩٣٤	٧	١	كانون الاول ١٩٣٣
١٢	٢٧	جغرافية العراق	٨	١	كانون الثاني ١٩٣٤
١٣	٢٨	جمعية دوحة الادب النسائية	٩	١	نيسان ١٩٣٤
١٤	٢٩	القراءة والحياة	٩	١	نيسان ١٩٣٤

د : القصص

الرقم الخاص	الرقم العام	العنوان	العدد	السنة	التاريخ
١	٣٢	مليحة	١	١	نيسان ١٩٣٣
٢	٣١	الجناح المكسور	٢	١	أيار ١٩٣٣
٣	٣٢	ابتسامة واحدة	٤	١	تموز ١٩٣٣

تلك هي الترجمات والمقالات ، والقصص التي نشرها المرحوم في مجلة الثقافة التي لم يمتد بها العمر اكثر من سنة وبعض السنة ، وتبلغ ٢٦ موضوعا ولعل هنالك موضوعات اخرى نشرها دون توقيع ، ولم نهتد اليها . ذلك ان المجلة قامت على جهود أربعة من مؤسيسها كان منهم الداغستاني

ومن الطريف ان اذكر ان المرحوم الاستاذ (علي خلقي) قام بجباية اشتراكات المجلة في المحافظات . كما ان من المهم أن أذكر وجود بعض مقالاته في المجلات في كتبه التالية ولا سيما في كتابه "عاشها كلها " .

٣ - مجلة المعرفة :

الرقم الخاص	الرقم العام	العنوان	العدد	السنة	التاريخ
١	٣٣	في أربعين رفيقة الحرف (ماري عجمي)	٥٠	٥	
٢	٣٤	حكاية الايلق المجهول	٥٤	٥	

٤ ـ مجلات مختلفـة :

الرقم الخاص	الرقم العام	اسم المجلة	العنوان	العدد	السنة	التاريخ
١	٣٥	جيش الشعب	عن كتاب البصائر والنضائر لابي حيان التوحيدي	٩٣٢		١٩٧٠
١	٣٦	المحامون	بين الحق والواقع	٤	٣٤	نيسان ١٩٦٩
١	٣٧	الموقف الادبي	رجل يمضي ورسالة تبقى في رثاء المرجوم زكي الارسوزي	٣ و ٤	٢	١٩٧٢

كتبـه :

أصدر المرحوم الدكتور كاظم داغستاني ثلاثة كتب :

الكتاب الاول :

١ ـ دراسة اجتماعية حول الاسرة المسلمة المعاصرة في سورية بالفرنسية :

طبعت الدراسة في مكتبة (ارنست لورد) في باريس ٠

وهي الاطروحة التي نال بها الدكتوراه من جامعة السوربون في باريس ، وطبعت بالفرنسية في باريس ، ولم تتم ترجمتها الى العربية رغم قيمتها ، وقد خلت الرسالة في كل صفحاتها من تاريخ طبعها وورد التاريخ فقط في كعب الكتاب فكان عام ١٩٣٢، وقد أهداني الدكتور ـ رحمه الله ـ الكتاب فقرأته وكتبت عنه الملاحظات الاتية في آخره :

١ ـ كتاب جليل

٢ ـ يتميز :

١ ـ بموضوعيته

٢- باختيار الامثلة عن طريق الاتصال المباشر بأصحابها ومشاهدتها بنفسه .
٣ - الحياد في عرض الوقائع .
٤ - عدم المزج بين ما هو كائن وما هو واجب .
٥ - الاشارة اللبقة الى التطور الذي يحد يحدث في المجتمع السوري ليحل القانون محل العرف والعادات .
٦ - الاشارة الى الفروق والتطورات التي تحدث في المجتمعات المختلفة والى الشروخ التي تحدث في الاسرة السورية على العموم وفي أسر المدن الكبرى على الخصوص .
وكان يوم مناقشة الاطروحة في جامعة السوربون يوما حافلا كتب مقالا عنها الدكتور ابراهيم الكيلاني بعنوان (يوم للسوريين في باريس) ونشره في صحيفة ألف باء وجاء فيه :
" ... ولم يسع الاساتذة ،وأعضاء اللجنة الفاحصة في جامعة السوربون الا الاعجاب بمؤلف الدكتور الداغستاني ،حتى ان المستشرق (ماسينيون) قال : ان هذا المؤلف هو من خيرة ما قدم للجامعة من الأبحاث الشرقية ، ولم يتمالك (فولونه استاذ علم الاجتماع من القول بأنه لايوجد حتى اليوم مؤلف عن الاسرة الفرنسية كمؤلف الاستاذ الداغستاني عن الاسرة السورية .."

هذا وأقترح أن تترجم هذه الاطروحة ترجمة كاملة الى العربية لأنها وثيقة تاريخية موضوعية عن الاسرة السورية في العشرينات من هذا القرن .

الكتاب الثاني :

٢ - " عاشها كلها " وأصدرته دارالاندلس في بيروت - لبنان عام ١٩٦٩ وهو ذكريات حياته في شكل روائي ،وقد أثار ظهور الرواية ضجة في الاوساط الادبية وصدرت تعليقات كثيرة في الصحف والمجلات نسرد بعضها في هذا الجدول :

الرقم	اسم الجريدة اوالمجلة	العنوان	الكاتب	العدد	التاريخ
١	مجلة الاديب	عن كتاب عاشها كلها	سلمى الحفاره الكزبري	السنة	ايار ٩٦٩
٢	الاسبوع العربي	مخطوطة العمر	جمال الفرا	٥١٧ السنة ١٠	١٩٦٩/٥/١٠
٣	جريدة الثورة	عاشهاكلها	ممدوح عدوان	١٨٩٩	١٩٦٩/٥/٢٦

٤ ـ	مجلة الاديب	رسالة	مها العطار السقطي	٦ السنة ٢٨	حزيران ٦٩
٥	جريدة اليوم	عاشهاكلها	ابراهيم يزبك	١٩٣٢	١٩٦٩/٧/١٦
٦	مجلة العربي	عاشهاكلها	...	١٣١	ت ١/١٩٦٩
٧	مجلة المجمع العلمي العربي	عاشها كلها	شفيق جبري	١ المجلد ٥٦	ك ٢/ ١٩٧١
٨	مجلة الاديب	عن كتاب عاشهاكلها	سامي الكيالي	٩ السنة ٣٠	ايلول ١٩٧١
٩	الرسالة الكويتية	كاظم الداغستاني والرحلة التي عاشهاكلها	خالد البرادعي	٥١٢ السنة ١١	١٩٧٢/٣/١٢
١٠	الثقافة الاسبوعية	عاشها كلها	عيسى فتوح	٢١ السنة ١٤	١٩٧٣/٥/٢٦
١١	جريدة اليوم	ذلك الرجل الرائع	ــــ	٨٢٦٩	
١٢		عن كتاب "عاشهاكلها"	ــــ	٥٢٨	١٩٦٩/٢/٨
١٣	جريدة اليوم	حوار سريع مع الدكتور الداغستاني	ابوالفتح	٧٩٢٧	تموز ١٩٦٩

وهذه نماذج من كتبه المعلقون :

" تقلب الدكتور كاظم الداغستاني في أعطاف التدلل من حداثة سنة .. لقد فتح عينيه على الانشراح والانبساط ، فتح العينين على الحسن والجمال ،والأذنين على الموسيقى ، والقلب على حب الحياة ، فكان لهذا كله الأثر في حياته من نعومة صباه الى اليوم الذي نيف على السبعين ، واذا كنت نبهت على مزاجه وعلى ما انطوى عليه هذا المزاج من مرح وسرور فمافعلت ما فعلت الا لشدة الشبه بين حياته وبين أسلوبه .. لقد وصف نواحي كثيرة من حياة المجتمع في دمشق ، لقد أثبت حقا أنه ابن دمشق .."

شفيق جبري

في مجلة المجمع العلمي العربي

" ومن دمشق الى باريس ، الى حياة الدراسة في السوربون ، الى حياة تغيرت ألوانها عما ألفه في مجتمعه ، الى جو فكري منطلق تقطر منه نفحات عبقة هزت مشاعره وفتحت قلبه وصقلت نفسه وكونته تكوينا جديدا . وقد وصف هذه الفقرة في كتابه وصفا بالغ الروعة .."

سامي الكيالي

فيمجلة الاديب

" .. هي مفاجأة سارة على قول الغربيين فيوم تسلمت كتاب الدكتور الداغستاني خشيت بعض الشيء لسببين : الاول ان الكتاب ضخم (ثلاثمائة وثلاثون صفحة متراصة السطور) والآخر أن عنوانه (عاشها كلها) لا يوحي الا بالكلاسيكية الجافة التي تطفو عادة على مذكرات السبعينيين ولكن ، وهنا المفاجأة السارة أتى الكتاب على عكس ظني ، وما برح يثير تعجبي فاعجابي حتى أنهيت قراءته ولعله أجمل كتاب عربي قرأته في السنوات الاخيرة .."

ابراهيم يزبك

في صحيفة اليوم

" .. شكرا لرائعتك من الذكريات التي مازلت في أجواء سحرها .. ولهذا فأني انتظر باللهفة نفسها كتابك الآخر (البيت الشامي الكبير) لا شك انه بدوره مشوار شامي من جعبة الذكريات الشامية العريقة .."

شاكر مصطفى

من رسالة بعثها للمؤلف

وأقل ما يقال في هذا الكتاب أنه حبب الينا الحياة وتمنينا ان نعشها كلها كما"عاشها كلها " الدكتور الداغستاني .

الكتاب الثالث :

٣ ـ حكاية البيت الشامي الكبير

طبع الكتاب في مطبعة الف باء ـ الاديب عام ١٩٧٢.

والحكاية صورة دقيقة تكاد تكون كاملة لحياة أسرة اقطاعية حاكمة في بيت كبير بكل أفراحها وأتراحها ، ولحياة نسائها على الخصوص ، ولقد استقبل الكتاب الثالث بمثل ما استقبل به الكتاب الثاني من ضجة وتعليقات ، وهذه بعض ما كتب عنه :.

الرقم	المجلة او الجريدة	العنوان	الكاتب	العدد	السنة او المجلد	التاريخ
١	البعث	مؤلف يعايش التراث	آديب عزة	١٨٤٢		آيار ١٩٧٢
٢	اليوم	كاظم الداغستاني يعايش التراث	أديب عزة	٨٧٦٨		أيار ١٩٧٢
٣	القبس في الكويت	البيت الشامي الكبير	خالد البرادعي	٥٢	١	نيسان ٩٧٢
٤	الثورة	عن الحموات والكنات	—	٢٧٩٩		ايار ١٩٧٢
٥	الثورة	البيت الشامي الكبير	علي كنعان	٢٨٤٤		حزيران٩٧٢
٦	الاديب	الى الدكتور الداغستاني	ظافر القاسمي	٧	٣١	تموز ١٩٧٢
٧	المحرر	كتاب التقاليد والعادات في الاسرة العربية	أديب عزة	٢٧٨٨	١١	تموز١٩٧٢
٨	مجلة المجمع العلمي العربي	البيت الشامي الكبير	شفيق جبري	٣	٥٧	تموز١٩٧٢
٩	الانوار	حكاية البيت الشامي الكبير	أديب عزة	٤٢٢٧	١٣	آب ١٩٧٢

١٠	الفداء	كاظم الداغستاني وحكاية البيت الشامي الكبير	نزار عادلة	٣١٩٨	آب ١٩٧٢
١١	الاديب	حكاية البيت الشامي الكبير	عادل ابوشنب	١٠ ٣١	ت ١/ ١٩٧٢
١٣	هنا لندن	البيت الشامي الكبير	اسكندر لوقا	٢٨٨	١٣

وهذه فقرات مما كتبه الادباء عن كتابه الثالث " حكاية البيت الشامي الكبير "

" ولقد جاء في كتابه الجديد " حكاية البيت الشامي الكبير " ببرهان آخر على شدة صلته بمدينته دمشق وعلى حبه لها.. لقد رسم المؤلف في كتابه الطريف صورا شامية قديمة يشعر بطرافتها الرجل الذي شهد هذه الصور في حياته ولا سيما صورة المرأة ..
ولا أبالغ اذا قلت ان المؤلف توخى في تصويره الدقة والصدق والامانة والاخلاص على قدر ما ساعد عليه الامكان وبلغ اليه الجهد ..
لم يقتصر الدكتور كاظم الداغستاني في كتابه على تصوير ما تقدمت الاشارة اليه ولكنه تخطى هذا كله فصور بعض أوضاع الحكم في تلك السنين المظلمة وأشار الى المصادرات التي كانت تهدم فيها الدور للتفتيش عن مخابئ الذهب والفضة والجواهر والتحف .."

شفيق جبري
مجلة المجمع العلمي العربي

" الرواية وثيقة تاريخية حملت أطرافا من حياة مجتمع معين في زمن معين وذلك عبر أسلوب السيرة الذاتية .."
أديب عزة
جريدة الانوار

" قرأت كتابك كله حرفا حرفا أمس واليوم بمتابعة متواصلة ، من غير انقطاع وقد رأيت فيك المؤرخ الاجتماعي الموهوب الذي يقف عند الدقائق فلا يفلتها من زمام قلمه .."
ان فضلك العظيم في هذا الكتاب الجديد هو أنك حفظت لنا وللجيل الجديد لوحات مدهشة ماتت أو كادت ..
والله يرعاك للعلم وأهله ."

ظافر القاسمي
مجلة الاديب

محاضراتـــــه :

ألقى المرحوم الدكتور الداغستاني عدداً من المحاضرات والاحاديث في الاماكن الاتية

١ - اذاعة دمشق ٠

٢ - المعهد العلماني الفرنسي في دمشق٠

٣ - المجمع العلمي العربي ٠

٤ - الجامعة السورية ٠

ويؤسفنا ألا نستطيع الآن تحديد عـــــدد المحاضرات ولا موضوعاتها ونرجـــــو أن نستطيع ذلك في مستقبل الايام ٠

كلمة ختامية :

هذا هو الملف الذي وضعته عـــــن المرحوم كاظم الداغستاني بالرجوع الى كتبه ومقالاته وأوراقه والصحف والمجلات التي نشرت له أو عنه ، وقد دفعني الـــى ذلك الوفاء أولا لانسان كان في طليعـــــة رجال الفكر والادب منذ العشرينات من هذا القرن العشرين ٠ والحرص ثانيا على عدم ضياع تراثه الاجتماعي والادبي الرفيـــــع والقيام ثالثا بواجبي نحو صديق كبيـــــر عزيز ٠

واذا كنت أظن ان هذا الملف غير واف ، رغم ما بذلته من جهد ، فان ثقتـــــــي بأصدقائه ممن عاصروه أو عرفوه تجعلنـــي أعتقد أنهم سيمدونني بمعلوماتهم وآرائهم لأتدارك ما وقع فيه من نقص وتقصير ٠

عبد المعين الملوحي

الحب والربيع

شعر : المحامي ابراهيم منصور

عطارة الحقل ، في اردانهـا عبق ... أم ذاك طيبك ، والانسـام ينطلق

قد صفق القلب لما استاف نفحتها ... كمـا يصفق في حضن الصبا ورق

وخاصر الهـدب طيف من مفاتنهـا ... تانق الطيف ٠٠ حتى قلت لا اثق ٠٠

ورحت امسح عن جفني خطوتـه ... خوف الحنين الذي يخبو ويأتلق

قالوا : الغواية فيض في لواحظهـا ... واستدركوا والهدى فيض وقد صدقوا

ياعينهـا ورؤى الفنان كم نصبت ... سرادق السحر والاحلام تستبق

ناغيت اصداء روحي في محاجرهـا ... فاحتار كيف يرى في أمرهـا السبق

هل في الربيع كجيد الغيد ناصعـة ... كيما أشبه ٠٠ فاسلم ايهـا العنق

الاقحوان ! ولكن بعضـه صفـر ... وابيض الورد ! لكن شـابه بهق

من ذا رأى العاج خجلانـا يغلفـه ... جلد شفيف من الاضواء ينبثق

زوجان زينت الدنيـا بسحرهما ... فوها المدمى ، اخو النعمان ، والشفق

قد يذبل الثغر ان لم يرتشفه فمي ... والورد يذبل ان لم يسقه ودق

ارجوحة الليـل ، لا تغفو ذوائبهـا ... وزورق الفجـر ، ذاك الناهد النزق

مرحى لفيهـا ، لعينيهـا ، لحظوتهـا ... فيها الربيـع ، ومنهـا العطر والالق

شباب دنيـا ، يـرى لمـا افارقهـا ... كهل ، يسير الى اكفانـه ، خرق ٠

خالي: كاظم الداغستاني
شخصية لا تنسى

بقلم: الأديبة العربية الكبيرة ألفة الإدلبي

لما طلب مني استاذنا الكبير الاديب عبد المعين الملوحي أن أشارك في الملف الذي ينشره عن خالي كاظم الداغستاني في مجلة الثقافة ، وجدتني في حيرة من أمري وهم كبير . لأنني أيقنت أن قلمي الضعيف لا تستطيع التعبير كما أحب وأشتهي عن ما اكنه لخالي كاظم الداغستاني من اعجاب كبير، ومحبة ، ومودة ، ولوعة على فقده

وأجدني أقف حيرى لا أدري من أين أبدأ ، أأتحدث عن شمائل خالي الحلوة ، ومآثره الكثيرة ؟ أم عن حبه للعلم والادب ؟ وأجدني أوثر أن أبدأ الحديث عن مكانة خالي في اسرتنا ، لأنني منذ وعيت الدنيا ادركت ان خالي كاظم كان النبراس الذي تسير اسرتنا على هديه ، وكنا نحن أبناء وبنات شقيقاته نحاول تقليده فلا نبلغ شأوه ، أو بعض من شأوه . فكان اذا برع أحدنا في دراسة ما، أو كتابة ، أو في القاء نكتة حلوة ، او تصرف تصرفا لبقا ، أو اختار شيئا جميلا أنيقا قلنا له بتعبيرنا العامي " طالع اليوم لخالو كاظم" وكان هذا في عرفنا غاية المديح ، ومنذ وعيت الدنيا أيضا عرفت خالي سيد المجالس ، لا تطيب السهرات والرحلات ، ومجالس الانس الا بوجوده ، واذا تكلم أنصت الجميع وأصغوا اليه مأخوذين بحديثه الممتع الطريف ، سواء كان الحديث جدا أو هزلا معجبين بتعليقاته الزكية ، ونكاتيه الحلوة التي كان كلما كررها ، تزداد جدة وعذوبة ، لأن القاء النكتة فن ، والفن لا يمل ، و لا يزهد فيه .

وقد وهب خالي نصيبا وافرا من هذا الفن ، وأذكر انه مرت في حياة خالي أفراح وأتراح كما الناس كلهم ، ولكن كانت لديه قدرة عجيبة على تغليف مآسيه بالفرح والمرح مهما كان يعاني في أعماقه من هم وغم ، كي لا يثقل على جلسائه وكأنه قد أوكل اليه أمر اسعادهم والترفيه عنهم ، فأحبه الناس وتهافتوا على مجالسته لكياسته ، وظرفه ، ولباقة تصرفه فما أذكر انه جرح كرامة احد من جلسائه اثناء دعاباته الكثيرة لهم ، لأنه كان يحب النكتة المهذبة الناعمة ، لا التنكيت على الناس وكان رحمه الله من القلة القلائل الذين أحبوا العلم للعلم وسعوا وراء المعرفة لنشدان الحقيقة فقط لا لربح مادي او معنوي ، لذا نجده لم يركز على دراسة واحدة بل تعددت دراساته وتنوعت ، فبعد أن أتم دراسته الثانوية في دمشق ذهب الى البنان والتحق بمدرسة تعنابل الزراعية ليدرس الزراعة ، ولعل حبه للطبيعة دفعه الى هذه الدراسة لينشيء حين يتمها مزرعة يقيم فيها مشروعا للمنتوجات

الزراعية . وقد حقق ما كان يصبو اليه ، فباع عقارا ثمينا في سوق الحميدية ، واشترى ارضا في ضاحية كيوان ، أنشأ عليها المشروع ، وجاء بابن عم له كلفه ادارة المشروع لقاء مرتب شهري يدفعه له ، ولكن المشروع فشل بعد سنوات قليلة لجهل خالي الفاضح بالتجارة ، وكم من مرة طلبنا منه أن يروي لنا قصة مشروعه الزراعي هذا ، وفي كل مرة كنا نضحك حتى تدمع عيوننا من الضحك ، كان يبدأ حديثه منذ ذهب الى الفاخورة ليوصي الفواخير ذهب الى الفاخورة ليوصي الفواخيري الذي كان ابن حارته على أوعية من الفخار مختلفة الحجوم ليضع فيها اللبن الرائب ، وكان أنذاك يوضع اللبن في أوعية من خشب يصعب تنظيفها ، ويقلد لنا الفواخيري كيف كان يساومه ويمارس عمله في آن واحد ثم يقول له : " دخلك يا بيك فش قلبي وقل لي ماذا ستفعل بهذه الفخارات كلها ؟ " ويجيبه خالي : لأضع فيها اللبن الذي سأبيعه ، ويضرب الفواخيري جبهته بيده الملوثة بالطين ويقول دهشا : أنت تبيع اللبن ؟ يا باطل .. لعن الله هذا الزمان الذي أصبح فيه اولاد الافندية لبانة .. ويبدأ المشروع بانتاج الجبنة النظيفة والزبدة المغلفة بالورق المقصب والبيض من المداجن والحليب الطازج ، واللبن الرائب في الاوعية الفخارية ويتهافت الناس على شراء هذه المنتوجات لأن هكذا مشارع لم تكن معروفة في دمشق في أوائل العشرينات ، وكانت البلد في أمس الحاجة اليها ، ولو عرف خالي كيف يستغل مشروعه لربح الاموال الطائلة ، ولكن كان قلما يقبض ثمن ما يبيعه ، يقول لابن عمه هذا صديق لا يليق بنا ان نأخذ منه ثمن بضعة قوالب من الزبدة أو الجبنة ، وهذا قريبنا أليست فضيحة أن نأخذ منه ثمن بيض وحليب ، وذاك نسيبنا والاخر جارنا وهكذا .. واذا أصر أحدهم على الدفع قدم له خالي نبتة من النباتات التزينية التي استوردها ايضا خالي من باريز للمشروع هدية على البيعة ، فاذا انصرف الزبائن بدأت المشاحنات بينه وبين ابن عمه ، فكان يقول له ثمن النبتة يا فالح تساوي ثلاثة أضعافُ الربح الذي سينوبنا من هذه النبيعة المشؤومة ، يا ليت صديقك لم يصر على الدفع ، ويا ليته اخذ ما اراد هبة لوجه الله ، وفي بعض الاحيان كان ابن عمه يحتال اذا رأى بعض الزبائن قادمين فكان يدخله غرفة ويقفل عليه الباب كي يعرف كيف يتصرف مع الزبائن ..

ولما هل الربيع بدأ خالي يدعو أصدقائه لتناول طعام الفطور الصباح في المشروع ، وقلما كان يخلو يوم من الضيوف فكانوا يأتون مصطحبين اولادهم واصدقاءهم فتقدم لهم المنتوجات الطازجة من جبنة وزبدة وبيض وحليب مع خبز الصاج الساخن ، وخالي في غاية من البسط والانشراح يروي لضيوفه النكات الحلوة فيضحكون ويمرحون ، و تنفتح الشهيات فيأكلون ويأكلون حتى يأتوا على نتاج اليوم بأكمله ، وابن عمه يقف مكتوف اليدين ، في غاية من الغيظ والحنق، وليس بوسعه ان يفعل شيئا ، فاذا عزمه خالي على الطعام قال له بتهكم وبلهجته ذات الجرس الخاص : تشكر ، تشكر ، يا ابا حاتم " لقب خالي " أنا صايم ، ويروح يرددها بعصبية صايم لله ويشير بيديه الى السماء كأنه يقول لخالي شكوتك لله .

وذات يوم جاء خالي الى المشروع فلم يجد ابن عمه لأنه كان قد حمل حوائجه وسافر خارج دمشق لكي لا يبقى اي امل عند خالي في عودته ، ويترك له كلمتين يقول فيهما لقد إتفقنا يا ابن العم ان نعمل في مشروع زراعي ، لا في مطعم نطعم فيه الناس على روح الاموات ، ويسوء وضع المشروع أكثر فأكثر وبعد شهور قليلة أفلس وذهبت الثلاثمائة ليرة ذهبية ثمن العقار هباء ،ولا اذكر ان خالي ندم على تصرفه هذا فكلما ذكر امامه المشروع قال :" والله انبسطنا كتير بأيام المشروع " . ولكنه ادرك تماما بعد هذه التجربة انه لا يصلح للمشاريع والتجارة أبدا ، وعليه الآن ان يبدأ من جديد ، ويروح يتحرى عن دراسة تصلح لوظائف الدولة ، ويختار دراسة الحقوق ، وبعد سنوات ثلاث ينال شهادة الحقوق ، ويسافر من فوره الى فرنسا ليتم دراسته في جامعة السوربون وينال شهادة الدكتوراه في الحقوق التي ستؤهله للوظائف المرموقة في الدولة كما كان يقول لنا ، لأن حملة شهادة الدكتوراه كانوا آنذاك من القلة النادرة في سوريا . ولكن تشاء المصادفات ان يتعرف بعد وصوله الى باريز بايام قلائل على فتاة باريزية تدرس الفلسفة في جامعة السوربون وتصطحبه معها ذات مرة الى محاضرة يلقيها احد اساتذة الفلسفة في الجامعة ، فيعجب خالي بالمحاضرة والمحاضر، وما أسرع ما يحول دراسته من الحقوق الى الفلسفة ، لأنه وجدها تفتح امامه آفاقا واسعة من الثقافة التي يتوق اليها ، ويقبل على دراسة الفلسفة باندفاع وشغف ، وهو موقن ان شهادة الفلسفة لا تفيده الا للتدريس في الجامعة ، وكان يعرف حق المعرفة ان طبعه لا ينسجم مع التدريس ولا يطيقه ابدا ، وعلى الرغم من ذلك تابع دراسة الفلسفة حتى نال فيها شهادة الليسانس بتفوق لأنه كان كما قلت يحب العلم للعلم والثقافة للثقافة لا لربح يجنيه من ورائهما . ثم يعزم على نيل شهادة الدكتوراه ، فاذا علم الاجتماع يستهويه ايضا فيؤثر أن يقدم اطروحته عن علم الاجتماع ، ويختار موضوعا لاطروحته هو " دراسة اجتماعية عن العائلة المسلمة المعاصرة في سورية " —

ويبذل جهدا شاقا في سبيل هذه الاطروحة لأنه كان ينشد الكمال والاتقان والدقة في كل عمل يقوم به . ويعود الى سورية ليجري دراسة ميدانية حول موضوع اطروحته ويستمر في عمل متواصل اكثر من سنة ، ثم يرجع الى باريز لمناقشة الاطروحة فينال عليها شهادة الدكتوراه بدرجة ممتازة ، ويعجب اساتذته بهذه الاطروحة ، فتطبعها الجامعة طباعة أنيقة ، وتظل مرجعا لطلاب علم الاجتماع الى يومنا هذا ، واعتبرت من أحسن الكتب التي كتبت خلال القرن العشرين عن الشرق الاوسط ، وكم نتمنى الآن ان تترجم للغة العربية أحب خالي اللغة العربية وشغف بها منذ كان تلميذا على مقاعد الدرس ويوم كانت اللغة التركية هي السائدة في المدارس ، فدرس رحمه الله اللغة العربية على صديقه الشاعر الموهوب خير الدين الزركلي وكان خالي معجبا بشعره ، وما ازال اذكر انه دخل علينا ذات أمسية من اماسي الربيع وبيده قصيدة لخير الدين الزركلي عنوانها " الديدبان " ويقف في

أرض الديار يلقي علينا القصيدة القاء جميلاً كأنه يمثل احداثها ، فاعجبنا بالقصيدة انا واخوتي ، ورجوته ان يعطينيها لأحفظها وقد حفظتها كلها وما أزال الى الآن أذكر بعض أبياتها ، وأعتقد انني احببت الادب وشغفت به منذ ذلك اليوم ، ولا سيما الادب القصصي لأن القصيدة كانت من الشعر القصصي ، وكان خالي يشجعني على ممارسة الادب ، واليه يعود الفضل في توجيهي ، فكان يختار لي الكتب التي يعتقد انها تفيدني وقد أباح لي ان أتصرف في مكتبته كما احب وأشتهي ، وكنت أنتظر جريدة الميزا

وأشتهي ، وكنت أنتظر جريدة الميزان بلهفة وشوق لأقرأ فيها مقالات خالي التي كانت تتناول النقد الاجتماعي والادبي ، والخواطر والقصة القصيرة ،واحيانا يترجم ما يحلو له من اللغة الفرنسية ، باسلوبه المشرق الرصين الذي لا تكلف فيه ولا تنميق ، وكأنه قد جمع بين أصالة القديم ، وفن الحديث ، وكان رحمه الله من النخبة الذين سبقوا زمانهم بتفكيرهم ووعيهم ، ولما عاد من فرنسا انشأ مجلة الثقافة بالتعاون مع الاستاذ خليل مردم بك والدكتور جميل صليبا ، والدكتور كامل عياد ، وكانت من ارقى المجلات التي صدرت في سورية ، منذ اكثر من نصف قرن ، ان الذي يحز في نفسي كثيرا ان خالي لم ينتج نتاجا يتناسب مع علمه اوثقافته ، وعمق تفكيره ، وبراعته في الكتابة وفي اعتقادي ان ذلك يعود الى ان خالي كان ينشد الكمال والاتقان والدقة الى درجة الوسوسة ،وكان هذا كله يتطلب زمنا طويلا لينتج

شيئا ضئيلا مما يتنافى مع طبعه الذي لا يطيق الاسر الطويل .

ولولا الحاحنا انا وزوجه الصديقة انعام العظم لما اصدر كتابيه الرائعين " عاشها كلها "و" البيت الشامي الكبير " ، فقد دفعت زوجه أمها السيدة الجليلة الواعية المرحومة يسار المؤيد العظم لتحدثه عن اسرتها في قصر العظم الذي عاشت فيه ، احاديث مشوقة وممتعة والتي تتميز بملاحظاتها الدقيقة الصادقة كل الصدق ولم يجد خالي مناصا من تسجيلها ثم اخراجها في كتاب البيت الشامي الكبير ..

وكم أشعر الان بالندم لأنني لم أسجل شيئا من مناقشات خالي مع اهله واصدقائه حول كثير من الامور الثقافية والادبية ، فكان قلما يقرأ كتابا دون ان يكون عنه فكرة نقدية يحدثنا بها ، وكم كانت جميلة وممتعة تلك الاحاديث التي كان يتداولها مع ابنه الوحيد المهندس نجيب الداغستاني عندما عاد من دراسته في انكلترا ، ولأن خالي كان سابقا لعصره دائما ، لا يحب التزمت ،ولا الوعظ الثقيل الذي يمليه عادة الاباء على الابناء ، كنت أشعر وهما يتحادثان انهما صديقان يتماثلان في العمر .

ان اكبر تعزية لنا على فقده هو انه عاش حياته كما يحب ويشتهي كان يقول رحمه الله : الاستمتاع بالحياة فن لا يرزقه الاالمحظوظون من العباد ، وكنت والحمد لله من المحظوظين فعرفت كيف استمتع ، وأعيش حياتي كلها ، ولعل الذي كان يساعده على ذلك هو بنيته القوية التي لا شك انه ورثها عن جدوده القفقاسيين الجبليين ، فقلما كان يمرض ، وقد عاش تسعين سنة ولم يضطر ان يخلع من اسنانه سوى ضرسا واحدا ، وكان قد تجاوز الخامسة والثمانين من

عمره يسهر احيانا في مقاصف دمشق ونواديها حتى بعد منتصف الليل يتحدث الى اصحابه ويضحك ويمرح ، واحيانا يرقص ساعات دون ان يشعر بالتعب .

رحم الله خالي كاظم الداغستاني ، وطيب ثراه ، انه من الشخصيات التي لا تنسى فقد كان نسيج وحده ، وفلتة من فلتات هذا الزمان قل ان يجود بمثلها .

وماذا يبقى من الناس الا الاحاديث والذكر ..

وأخيرا أرجو ان يسمح لي الاديب الشاعر الاستاذ مدحة عكاش صاحب هذه المجلة الغراء الذي تفضل علينا بنشر هذا الملف " كاظم الداغستاني " أن أقدم اليه باسمي واسم أسرتنا الشكر على لفتته الكريمة هذه .

الفة الادلبي

القراءة والحياة

بقلم : الدكتور كاظم الداغستاني

القراءة والحياة

خلاصة مقال نشره (ادمون جالو) في صحيفة الطان الافرنسية

يدعو فن النقد لتقسيم القراء لدرجات ، واذا ابتدأنا بالدرجة الاخيرة ، نافي قراء الاخبار المحلية الذين لا يودون الا معرفة ما صار حولهم وما وقع في جوارهم ، ويأتي في الدرجة التي فوقها القراء الذين يقرأون لاحياء عامل التأثر في نفوسهم ، ويدخل عادة في هذه الطبقة النساء والشبان ويتبع هؤلاء الذين يقرأون ليستفيدوا ويتعلموا ثم الذين يقرأون ليتلذذوا بجمال الاسلوب وبراعة الانشاء . وليس بين هؤلاء جميعًا من يصح أن يطلق عليه اسم قارئ ، لأن القارئ الحقيقي في نظرنا هو من يقرأ ليعيش اكثر من مرة واحدة وان هذه الرغبة التي هي ثورة على طبيعة الحياة ونظامها قد يكون فيها ما يفسر برغبة الابتعاد عن الحقيقة والواقع والتخلص من السآمة التي تورثنا اياها الحياة التي نحياها في كل يوم . ولكن الحقيقة غير ذلك فمظاهر هذه الثورة النفسية هي مظاهر تستتر تحتها غاية سامية شريفة من شأنها أن تحدو بالذات لمعاناة المصاعب والانغماس في تجارب الحياة العديدة والتوصل لمعرفة اشياء كثيرة لا تساعد طبيعة الكون على الوصول اليها . فقراء شكسبير ومونتين وبول فيفال مثلا لهم صفة عامة تجمع بينهم وهي رغبتهم بان يزيدوا في عدد الحياة الواحدة التي يحيونها لان ما تمنحه الطبيعة لهم من المدارك في كل يوم مما يجري حولهم لا يطفئ ظمأ نفوسهم وهم يعرفون ان ما يستطيعه الانسان محدود بسيط فيأسفون لذلك ويتألمون من جرائه .

حينما رسم ميشيل آنج في سقف قاعة سيكستين اولئك الانبياء المنصرفين الى القراءة والذاهلين بها عن سواها ، اولئك الانبياء الذين لا يستطيع ميشله ان يتكلم عنهم الا ويضطرب صوته بالبكاء فانه لم يخطئ بتقديره اهمية العمل الذي صورهم منصرفين اليه ومأخوذين به عن انفسهم . لقد كان يعلم ولا شك ان اسمى ما كان يرمي اليه ذلك العصر هو تخليص الانسان من الطراز الوحيد الذي يعيش عليه وافهامه ان هنالك عيشًا اخر يجب اكتشافه ومعرفته . وهذا اعظم ما رمت اليه مدرسة اثينا وفلسفة الاغريق القدماء ولقد جاء عصر التجدد القائم من بعد ذلك يعارك ويجالد ليوسع في الانسان مداركه وتجاربه فيفسح مجالا كبيرا في قلبه لعاطفة البشرية وفكرتها الواسعة المترامية الاطراف ولكنه لم يستطع ان يغير من طبيعته شيئًا كثيرا . على ان اقرب ما يساعد على الوصول الى تلك الغاية التي عمل لها الاقدمون ومن جاء من بعدهم هي القراءة ايضًا والقراءة التي اقصدها هنا هي القراءة الحقيقية التي تزيد في تجارب العيش وتنميها بدلا من ان تقوم مقامها .

ك . د

* * *

كاظم الداغستاني
البساطة والعمق

بقلم: الأستاذ نجاة قصاب حسن

لم يمر كاظم الداغستاني في الحياة الفكرية والادبية السورية كما يومض الشهاب الخاطف ولا أخرمته الايام قبل العطاء ، وانما عاش عمرا طويلا جاوز فيه الثمانين ، وأيامه المترعة بالجمال والتجربة والبشاشة قد عاشها كلها ، حتى انه جعل هذه العبارة عنوانا لكتابه الثاني من الثلاثة المنشورة ٠

في أواخر العشرينات شافر الدمشقي الاصيل كاظم الداغستاني الى باريس يحمل اجازة الحقوق ، ولكنه انطلق في السوربون في دراسات فلسفية واجتماعية توجت باطروحة نال عليها شهادته العالية (الدكتوراه) وكان عنوانها: دراسة اجتماعية عن العائلة المسلمة المعاصرة في سورية ٠ وقد كتب المستشرق ديموميين في تقديمه لهذه الدراسة التي طبعت بفرنسية مشرقة عام ١٩٣٢ : (ان كتاب الداغستاني قد نجا من التحيز واحتوى وصفا مفصلا بسيطا ودقيقا للحياة العائلية الاسلامية ، فجاء بناء متينا ومفيدا لا يشبه التعميمات المستعجلة والجوفاء التي كثيرا ما نشرت في الشرق الاوسط وعنه ، والتي منذ ولادتها تستحق النسيان ، وأضيف بأن دراسة لباحثين اميركيين عن أحسن ماكتب عن الشرق الاوسط قد صنفت اطروحة الداغستاني بين أحسن خمسين كتابا نشرت في هذا القرن عن حياة الشرق الاجتماعية ، ولقد كنت كلما زرت الداغستاني في أيامه الاخيرة نتحدث عن اعادة كتابة هذه الاطروحة باللغة العربية ، ولعله قد أنجز هذه الكتابة قبل أن يفارق الدنيا ، او لعلي أجد الوقت لها ان لم يكن هو قد فعل٠

وفي ١٩٣٢ وكان الداغستاني قد عاد الى دمشق وبعد سابقة صحفية في الصحافة الادبية اذ كان يكتب في مجلة " الميزان " التي كان يصدرها احمد شاكر الكرمي أنشأ مجلة تحمل اسم (الثقافة) وكان ينفق عليها اذ كان ذا سعة في العيش ، واشرك معه في الاشراف عليها الاساتذة كامل عياد وجميل صليبا وخليل مردم ٠
ومن هذا التكوين ندرك كيف كانت مطلا على الثقافات العربية القديمة والعالمية الحديثة ٠ وقد اعارني المرحوم الداغستاني مجلدها ، وسعيت لان نحتفل - وطنيا - بيوبيلها الذهبي ولو كانت قد احتجبت ، ولعل اتحاد الكتاب العرب بالتعاون مع اتحاد الصحفيين ينهضان بهذا العمل تكريما لجهد راق استطاع قبل اكثر من خمسين عاما ان يخرج مجلة تقف في صف أحسن المجلات العربية والعالمية ٠
اذن فقد كان الداغستاني ، ذواقة اللغتين العربية والفرنسية من

النادرين الذين ليس بين الفكر والعمل عندهم الا مقدار ما بين اليد الكريمة والجيب المسعف .

قال لي الداغستاني مرة - وفي لحظة بوح - ان عائشة التي احبها كما يحب الرومانسي العريق، وحرم منها كما حرم قيس ليلاه ، كانت بين اسباب انشاء هذه المجلة كان يريد ان يجعل المجلة صلة قربى بينه وبين (عائشة) و أن يقنع اخاها المتشدد بأن يزوجهما وما كان الداغستاني بمن يرفض له طلب ، وهو الجميل الصورة ،المثقف الناعم ، الميسور والمحبوب ، ولكن عادة بعض القدامى في رفض تزويج الشقيقات الغنيات حتى لا تخرج الثروة من العائلة هي التي كانت سبب الرفض ، والآن وقد ماتت عائشة التي جعل منها الداغستاني بطلة قصته الرائعة (عاشها كلها) ومات اخوها الذي حال بينها وبين السعادة حتى انطفأت عانسا، ومات الداغستاني الذي اذن لي بأن انشر القصة ، ما زلت اراعي فلا أذكر الاسماء الصريحة ، وهذه حالنا في شرق ما يزال يحجب الكثير من الحقائق باسم الحياء والمجاملة .

عرفت الدكتور الداغستاني يوم انتسبت الى المحاماة عام ١٩٥٢ ، في مكتب النقيب الاستاذ عبد القادر الميداني ، ولما كان الداغستاني متقدمي في السن وفي التسجيل ، فقد كنت أسميه مداعبا : الكوشك معلم .. أي المعلم الثاني ، غير انني كنت أرى انه في الحق معلم مكتمل بما تدبيه تحت البشاشة من عمق عجيب ، واعجب لاحتجابه عن الكتابة بعد ماض عريق ، ولكنه مالبث ان طلع علينا بكتابين (عاشها كلها - ١٩٦٩) و (البيت الشامي الكبير - ١٩٧٢) فكفى ووفى .

وظللت أصحبه صحبة اخ أصغر أرافقه رفقة معجب في المنتديات والسهرات والزيارات الخاصة ، وأحرض فيه القلم الدمشقي الحنون حتى انطفأ هذا المشعل قبل أشهر وبقيت كتبه ، ولعله بقيت لدى زوجته ورفيقته الفاضلة (التي عوضته بحنانها ما فقده في صباه) اوراق اذا جمعت كانت ثروة أدبية

ان اتحاد الكتاب العرب ووزارة الثقافة احرى من يجمع

تراث الداغستاني ويعيد نشر كتبه الثلاثة التي هي وثائق دقيقة ومفصلة عن الحياة الاجتماعية الدمشقية الاصيلة في البيوت العريقة وبين الفقراء من حمالين وكشاش حمام ومتعيشة كان الداغستاني يرافقهم ويتضارب معهم حتى بالخناجر (..) كأي زكرتي ، ثم تعلو كل ذلك مسحة انيقة من الادب والبشاشة

نجاة قصاب حسن

موت اللغـــات

خلاصة مقال نُشر في مجلة (المُوا) الشهرية

بقلم: الدكتور كاظم الداغستاني

نشر المسيو فاندريس عضو المعهد العلمي الافرنسي والاستاذ في الصوربون مقالا ممتعا في مجلة الدروس والمحاضرات الافرنسية عن موت اللغات قال فيه ما ملخصه : ان اللغة تموت اذا لم يبق من يتكلم بها وهذا كثيرا ما يصيب اللغة التي تضمحل بعامل لغة اقوى منها تستولي عليها فتغمرها وتبتلعها كما وقع للغة البروسية القديمة

واللغة البولابيه اللتين خنقتهما اللغة الالمانية وقضت عليهما تماما وهكذا شأن اللغة الغالية ايضاً تجاه اللغة الافرنسية التي ابادتها وهضمتها فاذا التقت لغتان تموت الضعيفة الفقيرة منهما شأن تنازع البقاء ولكن من اين ينشأ هذا الضعف والتأخر اللذان يحلان هذه اللغة دون اللغة الاخرى ومن هو الذي يحدد ويعين مكانتها الاجتماعية بالنسبة للغة الثانية التي تناظرها ؟ يقول الاستاذ فاندريس ان لذلك اسبابا وعوامل كثيرة من اهمها ان احدى هاتين اللغتين تكون اغنى واقدر من الثانية على ايضاح ما يجول في نفس المتكلم بها ولذلك تصبح الثانية في نظر المتكلمين دون الاولى التي تتقدم عليها بصرف النظر عن قيمة اللغة ومكانتها بحد ذاتها فاللغة اللاتينية واللغة اليونانية القديمة رغم مجدها القديم ومكانتهما التاريخية والذاتية تلاشيا امام اللغة الانكليزية والافرنسية وكذلك اللغة الغالية فهي لغة ذات مجد وآداب وان تكن شفهية فهي غنية لكنها لم تستطع ان تقف طويلا امام اللغة اللاتينية التي غمرتها وابادتها بسبب انها لم تكن لتعادلها وتساويها في مجدها الادبي واستطاعتها على ايضاح ما يجول في نفوس ابناء العصر ومجاراتها للفكرة العصرية ومكانتها العالمية التي نشأت عن ذلك فهي قد استهوت الكثيرين من الفاتحين الذين انصرفوا اليها لما رأوه في معرفتها من حسنات مادية ومعنوية ولما اورثهم الاطلاع عليها من تيه وفخر فبقيت اللغة السلتية بعد ذلك خاصة بالطبقة العامة الجاهلة من الناس وكادت ان تنحصر بهم وحدهم . واللغة العامية هي دائما دون اللغة الادبية التي يتكلمها كبار الناس واصحاب المكانة العليا والمثقفون في الامة ولذلك فاللغة العامية لا تلبث ان تضمحل وتترك المكان للغة الادبية التي تصبح اقوى واشد منها وذلك لانها اي اللغة العامية ، لغة لا ثقافة ولا تاريخ ولا آداب مكتوبة لها ثم انها لم تؤلف وترتب بصورة يستطيع المتكلم بها ان يوضح عن جميع ما يخامر نفس الرجل المتعلم من افكار وصور ومعان

وهي منحصرة ايضا باشياء ومعان خاصة تقوم في نفس الرجل العامي الجاهل وجميعها تتعلق بالحياة المادية العملية والتي تعود اكثر ما يكون للقرى والارياف وهي تستطيع بهذه الميزات والصفات ان تبقى ثابتة وان تعيش طويلا ولكنها لا تستطيع ان تجاري لغة المثقفين المتعلمين من الطبقة العليا في الامة تلك اللغة التي هي اوسع في التعبير عن الفكر واغنى في ايضاح ما يجول في النفس من شتى المعاني والصور ومما تقدم يتضح ان هنالك عراكا يكاد لا ينقطع بين اللغات والغلبة دائما تتم للقوية على الضعيفة والضعيفة هي التي يتكلمها عدد قليل من الناس بالنسبة للاخرى وجلهم من رجال الطبقة العامة . وتموت اللغة حينما يشعر المتكلمون بها بعدم الحاجة اليها وعدم الميل والارادة للتكلم بها لعجزها عن ابقاء جميع ما يريدون قوله و ينتج من هذا ان اللغة لا تعيش بذاتها بل تعيش بارادة ابنائها وحرصهم عليها بالعمل في سبيل اصلاحها المستمر وجعلها وافية بكل ما يتطلبه تفكير العصر الذي يعيشون فيه . ويذكر الاستاذ فاندريس لذلك أمثلة كثيرة نأسف لضيق المجال هنا عن ايرادها جميعها ويستنتج من مجمل تلك الامثلة والشواهد ان اللغة لغتان لغة تحكى ولغة تكتب ولا يمكن مهما تقدمت اللغة ان تكون هي هي كتابة وتكلما وان هنالك خطراً متى تباعدت اللغة المحكية عن اللغة المكتوبة فيجب دائما السعي لتوثيق الصلة بين اللغتين وتقريبهما من بعضهما ما امكن وذلك بادخال ما صلح من اللغة المحكية في اللغة المكتوبة وهذا لابد عنه في تطور اللغة الادبية فمن يحاول ان يكتب بالافرنسية مثلا في هذا العصر بلغة فولتير الكاتب الافرنسي فلا مندوحة له وهو يعالج موضوعا لم يعالجه ذلك الكاتب من ادخال بعض مصطلحات عصرية رغما عنه تمثل الزمن الذي يعيش فيه فاللغة هي شيء ذو حياة فان جمدت ولم تسر مع ما يتطلبه التجدد ماتت والويل للامة التي تحاول ان تبقى بلغتها حيث هي فالزمن يتقدم جاريا مع حركة الحياة

الدائمة ثم لا تلبث الصلة ان تنقطع بين حركة الحياة وبين هذه اللغة فيقضى عليها بالجمود والموت • وهذا التجدد والاصلاح في اللغة لا يفيدان وجوب ابدال اللغة المكتوبة وجعلها كاللغة المحكية ولا يفيان لزوم الكتابة باللغة العامية لان في ذلك ما يدعو لموت اللغة ايضاً كما تقدم فالاصلاح المنشود هو اصلاح اللغة المكتوبة بتوسيع مفرداتها وتحديد معانيها والمحافظة على تراثها القديم وهذا لا يتأتى الا عن طريق الثقافة العامة فالثقافة وحدها هي التي يمكنها ان تحافظ على التوازن بين احترام القديم والحرص عليه وبين حب الجديد والاخذ بالاسباب التي يتطلبها العصر الذي نعيش فيه • والكاتب المثقف هو الذي يمكنه ان يوفق بين الحاضر القريب والماضي البعيد فيحببهما ويحترمهما معاً •

ك • د

ابتسامة واحدة

قصة — بقلم : الدكتور كاظم الداغستاني

كانت الشمس قد ارتفعت عن مشرقها حينما اخذت السيارة التي تعود بالصديقين الى دمشق تنساب في وادي بردى فتنقل لراكبيها نسمات عطرة تثير ما كمن في النفوس من وجد وذكرى • واهوى علي بك بيده على عضد رفيقه وهو يقول له : انها اجمل وارق بكثير مما كنت اظن • قال حسن افندي وقد تجاهل مارمى اليه صديقه : ومن هي هذه التي رأيتها اجمل مما كنت تظن ؟ اجاب شهيرة • وهل رأيت بالامس اجمل وجهاً وارشق قامة واسمى قدراً منها بين جميع من كان حولنا من النساء ؟ ثم ولا اخفي عنك فقد اعجبتني كثيراً هذه الرصانة البادية على محياها وتلك الدعة في نظراتها الفاتنة التي تدل على ما انطوت عليه نفسها من شرف الخصال وكرم الخلق وحسن التربية • فبلع حسن افندي ريقه وتكلف عدم الاكتراث بما يسمع ثم قال : لا اكتمك انه لم يرق لي كثيراً ان اجدها سافرة في مثل هذه الاماكن وليس معها الارفيقات لا اعلم من اين جاءت بهن • معاذ الله ان اكون من المحافظين المتعصبين ولكن يؤلمني جداً ان يتقول الناس عنها اقاويل شتى وهي تنتسب لعائلة شريفة اغار عليها وعلى سمعتها • ثم لا اعلم الى اين ستفضي بنا وبنسائنا هذه الحرية التي بدأ الاباء يمنحونها بدون وزن ولا حساب لبناتهن المتعلمات علماً ناقصاً •

وكأن هذه الكلمات اثارت حماسة علي بك فاندفع يقول وفي لهجته شيء من الحدة : اما انا فلم اجد في موقف شهيرة بالامس ما يمس بسمعتها او بسمعة عائلتها كما تدعي ولقد آن لنا ان نخرج من هذه الظلمة التي نحن فيها فنعدّ للمستقبل امهات عارفات بشؤون الحياة لاغريبات عن العيش الذي نعيشه • ثم ماذا يمنع نساءنا ان يسفرن ويحضرن معنا الحفلات ويستفدن من كل ما نستفيده نحن • واني لافضل زوجة كشهيرة متعلمة راقية عارفة بحوادث الايام وتصاريفها على فتاة غبية لم تر في حياتها الا جدران منزل ابيها ولا تصلح الا لما اعتدنا ان نراه من خصائصها • ثم ان الامر لا يتعلق بشخص شهيرة الذي لا يهمني بل ان هنالك مصلحة عامة هي التي اعنيها في حديثي فلا نهضة لنا ترجى ولا خير يؤمل منا اذا لم نعلم فتياتنا ونترك لهن في حريتهن اسوة بغيرهن من نساء الامم القوية الحية • فقهقه حسن افندي وكأن ضحكته هدأت ماثار في نفس رفيقه الذي اردف يقول وهو لا يستطيع اخفاء ما تبدى من تقلبه : وماذا يضحكك ؟ قال ارى ان ابتسامة الامس قد غيرت مبادئك وآراءك في حرية المرأة وفي المصلحة العامة • اجاب وانت ؟ اليست ابتسامة الامس نفسها هي التي غيرت مبادئك ايضاً ؟ واخذ الرفيقان بايدي بعضهما واستمرا يقهقهان في ضحكهما • • ومضت السيارة في طريقها على ضفاف بردى متجهة الى مدينة دمشق ذات الانهار السبعة والظلال الوارفة حيث كثير من المبادئ العظيمة تغيرها ابتسامة واحدة •

ك • د

أيتها الضّعيفة

بقلم: الدكتور كاظم الداغستاني

هاهو ذا الفجر ينشر على الكون الهادي غلائله الفضية ويبعث بنسماته العطرة تهز اوراق الحور ٠

وها هو خيالك القديم الشاحب ، ينتصب بجانبي في هذه الشرفة القائمة على سفح قيسون، فننظر معاً الى مدينة دمشق التي نشأنا وترعرعنا فيها ،فنراها وقد انبسطت امامنا يحيط بها البحر الاخضر ، فينسينا منظرها الفخم البهج ماكاد يستولي على نفوسنا من يأس قاتل ٠

ايتها الضعيفة تشجعي فالصبح لايلبث ان يتبلج ٠ الا ترين وخيالك معي ، هذه المآذن الذاهبة في اجواز الفضاء كيف تلمع تحت اضواء الفجر وتنفض عن اردانها غبار الليل لتستقبل اشعة الشمس ٠؟ ان نور النهار سينحدر عما قليل رويداً رويداً من أعاليها ، فيتغلغل في كل ناحية من نواحي هذه المدينة الجبارة التي قيدتك بسلاسل العرف واغلال العادة ورمت بك في زاوية من زوايا ألغابر المظلم فاصبحت وأنت كما أراك الى جانبي منهوكة القوى ، يحول الضعف بينك وبين نصرائك فتكادين لا تصغين لندائهم ، ويكادون لا يسمعون انينك ٠٠

تشجعي ايتها الضعيفة فقد آن لهذا الليل أن ينجلي ولا يروعنك بأس هؤلاء الأقوياء الغاشمين الذين ماأحبوا فيك الا نفوسهم ٠ ان قوائم اوهى من ان تحجب النور ، وان ظلمهم اضعف من ان يقف في وجه الحق طويلا ٠

ايتها الضعيفة تشجعي فقوة الايمان اعظم القوى ويكفيك ان تؤمني انك مهضومة الحق وان القوم من ذويك ظالمون ٠

ايتها الضعيفة استأسدي فذئاب الحي جياع ٠

ايتها الضعيفة استبسلي ولا يغرنك ما ينفثونه في روعك مما لم يمله عليهم الا الأنانية ولم يدفعهم اليه الا حب الذات ٠

لقدانزلوك منزلة السلع ووقفوا منك موقف القوي الظالم من الضعيف المخلص فلم يرعوا لك ذمة ولم يحفظوا لك عهداً ٠ لقد كذبوا على الله فتناسوا لباب الدين واتخذوا من قشوره حبالا يخنقونك بها ٠ وسخروا التقاليد والخرافات لارادتهم لا يحتفظون منها الا بما يؤيد قوتهم ويسد ثغرة نهمهم ويدعو لضعفك وتذليلك ٠ لقد فهموا الشرف كما ارادوا لا كما يفهمه الحق او العدل وانهم ما برحوا يغضبون الله ويعصونه فينسبون ذلك اليك ، ويرتكبون الجرائم للتحكم بك زاعمين انهم ارتكبوها للدفاع عنك ، ويسمحون لأنفسهم مفاخرين بكل ما يعيبونه عليك ويرمونك به ، ومازالوا وهذا شأنهم حتى اذا انهكت المظالم قواك وتضعضع الالم آمالك ورجاءك قالوا عنك ضعيفة لا نصيب لك من الحياة الا الرحمة بك والاشفاق عليك ٠

لقد عرفتك في كل الادوار والمراحل ضعيفة خاضعة مستسلمة صابرة ، وعرفتهم في كل الادوار اقوياء لاحدّ لظالمهم ولا نهاية لما انزلوه بك من عسف واضطهاد ٠

ايتها الضعيفة لاتجزعي ولا تيأسي بل روّحي عنك وارجعي بخيالك الى ماضي الحياة البعيد وتاريخها الغابر المتراكم في هاوية العدم ٠ انك لا تجدين بين طياتها الا صراعاً قائما بين الظلم والعدل وعراكاً يكاد لا ينقطع بين الحق والقوة ٠ هذه سنن الحياة ونظمها ايتها الضعيفة فلا يهولنك ما ترين

تمر العصور وتنقضي حقب الدهر وتنازع البقاء لا يبرح ثابتاً في اصوله لاتتغير الا صوره والوانه ٠

ايتها الضعيفة تشجعي فانت سليلة الاماجد ممن ابوا الضيم ولقد آن لك ان تؤمني ان الحق حقك فتستنبطي من الضعف قوة ومن اليأس املا ورجاء ٠

ايتها الضعيفة استبسلي فالحرية لاينالها الا طالبها والمجد لا يحرزه الا الجسور المقتحم

هاهي الشمس قد نشرت اشعتها فوق الارض وها هو النور يملأ المنازل ويغمر الروابي والبطاح وها هي المدينة الجبارة وقد نهضت من نومها العميق تعجب لجهدك وتمتز بجدك ٠

الحياة البسيطة

بقلم: الدكتور كاظم الداغستاني

مقدمة — ايفون سارمي كاتبة افرنسية بارعة ولعلها من ابرع كاتبات فرنسا في هذا العصر واقدرهن على معالجة الموضوعات الاجتماعية والنسائية ولقد حدا بي ما اقرأه لها في مجلة Les Annales الافرنسية من المقالات الشائقة لان ابحث عما لها من مؤلفات سابقة بعد ان علمت من امر انصرافها لمشاريع الخير والادب وسعيها الحثيث في سبيل الاخذ بيد اليتامى والفقراء ومنكوبي الحرب ما زاد اعجابي بها ولقد كان اول ما عرفته من مؤلفاتها كتاب عنوانه « لكينا نعيش سعداء » رأيتها تعالج فيه من الموضوعات ما تحاول ان توضح به لقرائهـا من النساء والرجال الاصول التي تمكنهم من الوصول الى الحياة السعيدة وتهديهم الى الطريقة التي يكونون سعداء بسلوكها وليس اوقع في نفس الرجل من حديث المرأة عن السعادة اذا كان يعلم من امر المرأة ما يجعله حسن الظن بها ولعل كلامها في هذا الموضوع يكون انفذ الى قلبه واكثر منالاً منه .

ان ايفون سارمي ليست بقادرة على ان تجعل الشقي سعيداً بما بينته في كتابها من اراء فلسفية واوضحته من قضايا اجتماعية فالشقي كما يقولون شقي منذ الابد لا يسعده الكلام ولا تغير من طباعه الكتب شيئاً ولكن قد يجد الكثيرون من الاشقياء واخصص بالذكر منهم اولئك الذين لا يعرفون سبباً لشقائهم قليلاً من العزاء وكثيراً من السلوى فيما يقضونه من الساعات بين يدي ايفون سارمي يتسمعون حديثها المطرب عن السعادة وارائها في كيفية الوصول اليها واني لمعرب للقارئ البحث الاول من مباحث كتابها هذا حتى اذا ما رأيته طروباً به زدته من ذلك بما يجعله شريكاً لي في حب ايفون سارمي واحترامها ...

الحياة البسيطة مصدر الهناء

ان الحياة البسيطة هي مصدر هناء وليس بالعسير عليك ان تفهم اسباب ذلك . ان اجمل ما في الفن والموسيقى والادب وغير ذلك من الاشياء هو الحقيقه فكل شيء قارب الحقيقة كان ذا نغمة خاصة مطربة وما علينا لكي تتفتح ازاهير السعادة في حياتنا الا ان نحيط هذه الحياة بجو من راحة الضمير وهدوء النفس . انك لو امعنت النظر في الاشياء المحسوسة لوجدت ان المسرة لا تسكن الا النفوس الطيبة وان تلك المسرة لم تنشأ في الحقيقة الا عن رضاء الطبيعة وموافقتها الخفية اي انها مسرة طبيعية لا تعمل ولا تصنع فيها ، فالصبية هم فرحون لانهم يسيرون مع طبيعة العهد الذين هم فيه وينعمون بما يجري في عروقهم من دمائه وان العمال فرحون لانهم يعيشون مماشين القانون الطبيعي العام الذي هو عبارة عن التكاثر والتناسل والامهات القائمات بوجائبهن فرحات لانهن يشعرن باشتراكهن بقانون السعي البشري الطبيعي الذي هو النسل المستمر وعلى الجملة فكل اولئك الذين يسمعون صوت الارض ويجيبون نداءها عن رضاء نفس وطيبة خاطر فرحون سعيدون اما من يعمل على عكس ذلك فيمكنك ان ترى في وجهه اثار قلق النفس وتعب الضمير جلية واضحة ولعل ذلك لان الطبيعة ارادت ان تنتقم لنفسها منه لانه لم يشاء ان يخضع لارادتها ويماشيها فبعثت اليه بشيء لا يحصى من انواع الزعجات المقلقات ، وان تلك الفئة من الناس التي لا تعيش الا ذلك العيش الفخم ولا تهتم الا به او لا تحيا الا لاجله انما تعيش على عكس ما هو طبيعي فهي تصرف الجهد كله حتى تنال الشيء الكثير الزائد من ملذات الحياة ولكنها ندر ان تشعر بحقيقة الغبطة والفرح فحياة افرادها ليست الا معاكسة مستمرة وان ما تستنشقه من السموم وما يحيط بها من الفوضاء والجلبة لا يحول دون وصول صوت خفي

انيها يقول لها « لا ، لا ، ان الحقيقة ليست هنالك » ومهما يكن احد افراد هذه الفئة متفائلاً قد ذاق من ملاذ الحياة التي عاشها الشيء الكثير فلا مندوحة له عن ان يشعر بألم خفي وعذاب مستتر عندما يفاجئه هذا الصوت المؤلم فيوحي اليه بانه لم يذق من حقيقة الهناء والغبطة شيئاً . ان نوال المسرة هو احوج ما يكون للضمير فالضمير هو الآلة السماوية التي تنظم سير الاعمال وحركتها على محور الحقيقة الخالد . دقق جيداً فهل تجد اكثر مواطنيك ممن تعرفهم يعيشون مع الحقيقة ؟ انظر اليهم فان حياتهم ليست الا رواية مضحكة هم الممثلون المضحكون فيها ، انهم لا يرون ذلك الخيط الذي يجرهم الوهم به انهم مدفوعون وهم جاهلون بان هنالك يداً خفية تدفعهم الى تلك المعاكسة التي ليس من بينهم من يرغب بها لو درى حقيقة امرها . ليس لهم من الوقت ما يفرحون به فهم لا يعرفون كيف يفرحون وفي الحقيقة ليس لهم الحق بان يفرحوا .

ان المسرة هي انبساط النفس والحركة الآنية التي يقوم بها الضمير المستريح النهائي فهي تشع كالشمس من خلال الاغصان في ساعة عظمى فاتته من الراحة . ان الحطابين الصالحين حينما تشرق عليهم اشعة الراحة و يشعرون بالهناء يغنون وينشدون وان سرورهم في كل اديان العالم يفيد ما مؤداه « شكراً لك اللهم على ما وهبتني من ايد عامله ودماغ مفكر » وان الناس بقدر ما يتبعون معنى الحياة الحقيقي الذي ليس هو الا العمل والسعي والصلاح تراهم فرحين مغتبطين وانهم اذا عملوا على ذلك واتبعوه يعيشون مع الحقيقة و يقضون حياتهم احراراً غير مقيدين وان الطبيعة العارفة بالجميل لا تحجم عن مكافئتهم علي ذلك فتمنحهم الهناء والغبطة .

انظر الى احد تلك الابهاء « الصالونات » الكبيرة المعدة للولائم رجالاً كان المدعوون فيها او نساء ، انك لا ترى الا وجوها متجهمة واعيناً قلقة وحركات مضطربة واوضاع مصطنعة . هل يمشي بعض المدعوين لبعض يقصدان يتحدثوا فيقضوا دقائق من الراحة والمسرة في ظل الصداقة والود ؟ لا ، ابداً ، انهم يشعرون من الخصومة لبعضهم البعض ما يجعل كلاً منهم عدواً للثاني . خصومة الثروة وخصومة السلطة وخصومة الحب وخصومة المكانة الاجتماعية وخصومة الجمال وخصومة اللياقة وغيرها من خصومات كثيرة فهي تستتر وراء ابتسامات التلطف والتأدب فلا تظهر الا قليلاً وان المقدرة على اخفائها ليس بالامر السهل فهو يحتاج لفن صعب المراس من الرياء والخبث . وقل ان يغادر الشخص هذا المجتمع الا وهو حانق على نفسه وعلى الآخرين لانه لم يجد في هذا الوسط الفخم الا عزلته الروحية وفقره النسبي وعدم كماله المادي والغريب في ذلك ان اكثر الرجال واشد النساء ذكاء وعقلا يقع في هذا الوهم فيفقد شجاعة البقاء على البساطة عندما يرى ان الفخامة التي تحيط به قد تجاوزت الحد الذي يستحسنه . ان المسرة في هذا الوسط مسرة مصطنعة وضوضاء كاذبة لانها لا تسطع من القلب، ينبوع جميع الحقائق، وهي بعيدة كثيراً عن ذلك الهناء الذي يخلق السعادة المنشودة في هذه الحياة

اتعرف لماذا تمنح الحياة البسيطة في الغالب هذا النوع من المسرة ؟ ذلك لان للحياة حساباً جارياً بين الدخل والنفقة لا مندوحة عنه وتوازناً مقرراً بين متضاد الاشياء لا سبيل للهرب منه فعندما يختل هذا التوازن يصيح الصوت الخفي قائلاً : « طريق فصل ! » وان في سماع هذا الصوت من القلق ما يحول ليس دون الضحك فحسب بل دون التبسم ايضاً .

لتقلل بنات جنسي السيدات من مطامحن الجنونية الى الظهور وليخفضن من تقليد غيرهن بمظاهر الثروة وانهن يعلمن بعد ذلك كم من السهل عليهن ان ينلن الهناء والمسرة . والحاجة الى معالم العظمة ومراسم الفخامة اذا كانت القلوب فرحة والعقول حرة والكلام كلام اخلاص . وما هو الغرض من وسائل الابهة والمفاخرة اذا كانت الابتسامات حقيقية والنفوس هانئة مغتبطة .

اننا لا نعرف ان نلهو ونطرب لاننا لا نترك في اسباب لهونا وطربنا شيئاً من البساطة . اننا نحيط احقر ما نلهو به من الاسباب بمراسم واصول تتعبنا وتفقرنا وتحملنا ما لا طاقة لنا به وانا لاشبه شيء باولئك الصينيين الذين ضيقوا على ارجلهم بالاربطة حتى كادوا ان يجعلوها كاللحوم المقددة وما ذلك الا لتصبح صغيرة كما جعلهم الوهم يريدونها فهم يشعرون بالالم كلما مشوا عليها . فلنبدأ بتفكيك هذه الاربطة التي عقدناها بسخافتنا ولندع ارجلنا طليقة كما خلقت ولنتركض ان شئنا ان نسعد الى الحقيقة والحقيقة تهدينا الى الحياة البسيطة وما الحياة البسيطة الا منبع الهناء والراحة .

« كاظم الداغستاني »

المسرح والمقصف

بقلم الدكتور : كاظم الداغستاني

١ - المسرح

كتبت هذا المقال منذ عشر سنوات ، فوصفت فيه المسرح القديم في دمشق المسمى (تياترو) وقد اتبعته في هذا الجزء من الثقافة بصورة المقصف الجديد في دمشق المسمى (بار) . ولعل بين الصورتين القديمة والجديدة من الفوارق مايدعو لاهتمام المولعين بهذا النوع من وصف الواقع .

سأحدثك عن المسرح وعن الغناء والرقص وتمثيل ادوار الحب فيه ، واريد بكلمة المسرح ذلك المسرح المعروف في دمشق واكثر مدن سورية الذي لم تستطع مئات السنين ان تغير من اوضاعه القديمة شيئاً مذكوراً ، ولعلني اكفيك في حديثي هذا ، مؤونة ليالي كثيرة تصرفها في مثل هذه الاماكن اذا اردت ان تقف على ما اريد ان اطلعك عليه من شؤونها .

تغني الناس على الغالب ، في هذا المسرح : امرأة يدعونها رئيسة الجوقة ، يرافقها ثلاث نساء او اربع يجلسن الى جانبها بترتيب يجري على مايقدره لهن صاحب المسرح من جمال لهن او براعة في الرقص والغناء ، ويجلس الى جانبها الآخر ، جوقة موسيقية من الرجال تعينها في غنائها وتوقع الراقصات حينما ينتهي دور الغناء فيقدن للرقص الواحدة لو الاخرى ويجلس المتفرجون من مختلف الطبقات امام المسرح جماعات وافراداً لا ترتيب في صفوفهم ولا انتظام في مواقع جلوسهم . ويأوي البعض منهم في المسارح القائمة في غير الحدائق ، الى مقاصير (لواج) خاصة تشرف على المسرح ، وكثيراً مايختار العشاق هذه (الالواج) لجلوسهم لأنها اوقع في نفوس نساء المسرح واحكم في لفت انظارهن ، ويحظر على نساء المسرح حظراً شديداً في دمشق ان يجلسن الى الرجال من (المتفرجين) او يحدثنهم ، وكثيراً ماتشدد دائرة الامن في هذا الحظر ، حتى انها تعاقب المرأة التي تجرؤ وهي صاعدة الى المسرح او نازلة منه على محادثة احد المتفرجين ، او الوقوف معه ولو قليلا ، بان تمنعها عن عملها اياماً تحرم فيها من اجرها ، ولكنها لا تمنعها مهما اشتد امر المنع ، ان تبعث بنظراتها وهي جالسة او راقصة في المسرح الى من تشاء وان تبتسم وتومئ الى من تريد وان تتقبل زجاجات الشمبانيا التي يبعث بها اليها عشاقها ، وان ترفع كأسها فتشرب نخب من قدم هذه الهدية اليها . ويصعب او يتعذر على العشاق محادثة هؤلاء النسوة ، وقد تزيدهم هذه الصعوبة غراماً فيمانونها برغبة ولذة .

ويغلب على المرأة التي تغني في مثل هذه المسارح ان لايكون لها من الجمال والصوت والبراعة في الرقص مايجعلها تستغني عن ان تمثل لعشاقها ادوار حبها وهيامها بهم ، فهي تمثل دائماً وابداً وتحوجها الاجادة في هذا التمثيل الى استعداد فطري قد ينشأ معها وتمرين تعاوده اياماً طويلة وقد تجيد هذا النوع من التمثيل الاجادة كلها ، ولكنها قد لاتنجح فيما نقصده من تمثيلها ، لانها تحتاج في هذا النجاح زيادة عن الاجادة في التمثيل ، لاشياء كثيرة صعبة المراس ، فهي لاتكتفي بما تحتاجه الممثلة لكي تجيد التمثيل ، من الذهول عن نفسها وتناسيها ذاتها ليتسنى لها ان تتقمص الشخصية الجديدة التي يتطلبها الموقف بل يحوجها الامر لان تمثل لكل من عشاقها الدور الذي يلائم طبعه ، وان تنتخب لكل واحد منهم الموقف الذي يتفق مع مزاجه ، وكثيراً مايقضي عليها الامر ان تختار من الادوار ماتخلق اوضاعه خلقا وترتجل فصوله ارتجالا دون ان تكون قد فكرت فيه او استعدت له من قبل . وكثيراً ماتحتاج ايضاً لان تمثل من الادوار ماينافض بعضه بعضاً فتمثل الفرح لاحدهم وتشخص الحزن لرفيقه في آن واحد وتعاني في التوفيق بين هذا التناقض ما لايمكنك ان تعرف شأنه ودقة الصنعة فيه الا اذا رأيت تلك الامارات المرسومة على محياها في موقفها هذا وهي تدل على اجهادها النفس وقسرها على ما ربما كان فوق طاقتها ، وانك اذا اطلعت على مابين امزجة عشاق هذه المرأة من التباين وما في مشاربهم من التفاوت وعرفت انهم جميعهم ، يحتشدون امامها في ساحة واحدة ، وانها مضطرة لان تقنع كلا منهم بانها عالقة به وحده وانه لامهرب لها من ان تتم خلال ذلك في الغناء الذي تغنيه والرقصة التي ترقصها وتحافظ على مقاييس الانغام لترضي بقية المتفرجين من غير العشاق ايقنت من عظيم الجهد الذي تبذله هذه المرأة وشدة الذكاء والمقدرة التي تحتاج اليها فيما تعانيه من عملها الشاق ، واجدني متشوقاً لكي اؤيد لك ذلك ، الى ان اصف لك موقفها من عشاقها وموقفهم منها ، واذكر لك بايجاز بعض مايبدو للناقد وهو يراقب

(المتفرجين) في هذا المسرح فاطامك على مايمثل هنالك من ادوار قد يشترك في بعض فصولها افراد الجوقة وصاحب المسرح وخدامه وكثير من العشاق والحاضرين ايضاً ·

فهنالك بين الجالسين امام المسرح ، ثلاثة رفاق لعلهم من ابناء وجهاء المدينة، جلسوا حول منضدة صفت عليها اقداح العرق واطباق الفاكهة ، واذا عنّ لك ان تراقبهم علمت ان الاول من بينهم هو العاشق المتظاهر بحبه ، واذا اطلت نظرك اليه سمت انه يعتقد بل يجزم بينه وبين نفسه بانه الرجل الوحيد الذي اختصته هذه المرأة بحبها من دون الناس جميعاً ، فهو لايبرح يتعهد تصفيف شعره ويتفقد منديله الحريري المتدلي على صدره ، ويرفع كأسه بين آونة واخرى عند ما تمر بنظرها عليه ، فيشرب نخبها وتشرب نخبه من زجاجة الشمبانيا التي بعث بها اليها · وتفهم من نظرات الرفيق الثاني الى هذه المرأة واغضائه عنها كلما التفت الى رفيقه انه لا يريد ان يقف من رفيقه موقف الخصومة في الحب فتجده يغتنم الفرص كلما سنحت ويبعث اليها بنظرة وابتسامة يحاول ان يمثل لها بهما حال العاشق المتألم الذي لايبيح له الموقف ان يظهر ماتكنه جوانحه من بوارح الحب · وتنظر اليها فتجدها قد فقهت مايريد ان يفهمها اياه ، فرفعت كأسها وشربت نخب رفيقه متبسمة، ثم حولت نظرها اليه من طرف خفي ، كأنها تشير اليه ان بين جوانحها ايضا من آلام شغفها به اضعاف مابه لكنها لاتريد ان يطلع على تحابيها هذا رفيقه الذي يبذل لها من هداياه وشرابه الشيء الكثير ·

وترسل طرفك الى الرفيق الثالث، فتراه وقد جلس جلسة الرجل الرصين المتظاهر بانه اعرف بهذه الامور واعلم بحقيقة الطريق التي يجب ان يسلكها الرجل ليصل منها الى قلب المرأة التي يحبها ، وتجدها وهي تمر بنظرها عليه قد علمت مايريد ان يفهمها من امره فتحاول ان تفهمه ، بما تخلقه في محياها من علائم الاعجاب بأوضاعه انه لايعجبها من الرجل الا رجاحة عقله ورصانته في مجلسه فلا يلبث ان يبتسم بينه وبين نفسه ابتسامة العاشق المنتصر على عذاله ·

ويضحكك رجل جلس وحيداً وراء هؤلاء الرفاق الثلاثة ينظر الى تلك المرأة بشغف ويسرع الى رفع كأسه عند ما يرى احدهم قد رفع كأسه ليشرب نخبها فيشرب معه ومعها ويكتفي ان يسلك بغرامه هذا الطريق الخيالي الذي لايكلفه شيئاً من المال · وتنظر اليها حينئذ فتجدها تسعى جهدها لتبعث اليه برشاش من تلك الابتسامة التي وجهتها الى غيره ، وتعرف من آثار الغبطة الظاهرة على شفتيه انه سعيد بما ناله يخيل اليه ان هذا الرشاش الذي اصابه هو بحر من الحب قد غمرته امواجه ·

ويحزنك رجل من ارياف المدينة جلس غير بعيد من هؤلاء ، تجده ينظر الى هذه المرأة نظرة العاشق الآمل ، ويرفع كأسه كلما رآها ترفع كأسها فيشرب نخبها ، وتراها لاتنظر اليه ابداً ولا تبتسم له قط ، وانك اذا شئت ان تبحث عن امره تعلم ان خادم المسرح قد خدعه كما اعتاد ان يخدع الكثيرين من امثاله في كل ليلة فافهمه ان المرأة وهو يعلم من امر نفقه بها ما يعلم ، بعثت تطلب منه زجاجة من الشمبانيا ، فاجاب طلبها ، وان شئت فقل طلب الخادم الذي تقاضى ثمن هذه الزجاجة من عشاق كثيرين ايضاً · ورأى هذا الرجل ان المرأة لاتنظر اليه ولا تشرب نخبه فخيل اليه انها لاتريد ان تتظاهر بحبها له امام عشاقها بعد ان اصطفته لنفسها من دونهم جميعاً ، فطار في جو خياله سعيداً هانئاً · ونقد الخادم ثمن الزجاجة الموهومة التي لم تعلم هذه المرأة من امرها شيئا ·

وهنالك شابان متأنقان في ملبسهما ، يظهر لك من اوضاعهما وشدة اهتمام خدام المسرح بهما انهما من ابناء الاغنياء وموظفي دواوين الحكومة وتفهم من نظراتهما لنساء المسرح ومغازلة هؤلاء لهما ان الاول مولع برئيسة الجوقة يتظاهر لها بحبه وان الثاني عاشق للمرأة التي تجلس بجانب الرئيسة ، وتعلم من امر هذا الثاني انه غير قانع بحبه لهذه المرأة وحدها فهو يود لما يراه بنفسه من المقدرة على معاناة هذه الامور ان يظهر للرئيسة هيامه بها ايضا فتجده يخالس رفيقه النظرات العميقة اليها مبتسما · ثم ينقطع عن التبسم متصنعاً الاطراق والتفكير ليمثل دور المتردد في اي الحبين يختار · وتراه كأنما يريد ان يثبت للرئيسة انه ارجح عقلا من صاحبه واعرف منه بشؤون المجالس ، فينصرف اليه متكلفا الاخلاص له وينبهه — باشارات تفهمها الرئيسة — الى انه مخطيء في جلسته التي يجلسها ، او مخل بما يجب ان يراعي في مثل هذا الموقف، وينتبه رفيقه الى مايرمي اليه من نصحه فيكتمه ماعرفه من امره ، وتلحظ جارة الرئيسة الدور الذي يريد ان يمثله عاشقها ليؤيد صلاته مع جارتها فتبتسم لرفيقه ، وتومئ اليه ان ينتقم لنفسه من صاحبه فيغازلها هو ايضاً ، فينصرف بنظره عنها كأنما يريد ان يفهمها انه يأبى ان يكون متقلباً كرفيقه ، وتفقه الرئيسة مادار بينهما من الحوار الصامت فتطرق مفكرة وقد انتشرت على وجهها غبرة من اجهاد النفس في سبيل الاهتداء الى الدور الذي يجب ان تمثله بهذا الموقف لتنتصر على جارتها وتستأثر بالاثنين معاً · ويرى ضارب العود الجالس الى جانبها اطراقها وذهولها وهو يعشقها ويتوهم انها مولعة به ، فتحدوه الغيرة لان يظن ان مبعث اطراقها وتفكيرها هو شغفها باحد عشاقها ، فتنم اسارير وجهه على مايخامر فؤاده من قلق ، وينظر اليها نظرة التذكير بالحب ، فتميل نحوه ميلة تتفق مع توقيع الاغنية التي تغنيها بتدريبه ومساعدته ، وتتكلف الابتسامة له تكلفاً يظهر لك من خلاله امر ماتعانيه في هذا الموقف من عمل شاق تكاد ان ترتبك فيه ·

وهنالك اربعة شبان لعلهم من طلاب المدارس العليا جلسوا قريباً من المسرح تفهم من مغازلة الرئيسة لهم انها لاتأمل من وراء مايظهرونه لها من الحب نفعاً كبيرا فتجدها تبتسم اليهم جميعاً ابتسامة واحدة تقسمها بينهم تقسيما يدهشك مافيه من مهارة في الصنعة وكثيراً ماتراها تبعث اليهم بهذه الابتسامة مشاعة فيتقاسمونها بينهم قسمة رضائية او يختلفون عليها فيعتقد كل منهم انها له وحده فيصفق لها ويحييها ·

ويسترعي اهتمامك رجل علت وجهه مسحة من طيب السريرة ، جلس بين جمع من رفاقه وهو يميل الى هذه المرأة لكنه يود ان يسلك في التعرف اليها طريقاً قليلة النفقة فيبعث اليها مع خادم المسرح بعلبة صغيرة من (الملبس) دون ان ينقد الخادم أجراً مقدماً على عمله ، ويسرع احد رفاقه ، خفية عنه ، فيرشو الخادم ويومي اليه ان يفهم المرأة انه هو الذي أهدى هذه العلبة اليها ، وتجد الرجل لا يكاد يرى المرأة وقد بدأت تلتفت الى صاحبه متبسمة وتهتم به من دونه حتى تبدو على محياه علائم الاضطراب والغضب فيردد طرفه بين المرأة وبين صاحبه مستغرباً الامر مرتاباً فيما وقع ، ويستوضحها الامر بنظراته واشاراته فتحدق نظرها فيه وتجهد نفسها لتعلم مايريده منها فلا توفق الى ذلك ·

وهنالك رجل من ذوي النفوذ والسلطة جلس بعيداً عن المسرح وهو ولوع بهذه المرأة فتراه ينظر اليها مقطباً حاجبيه كأنما يريد ان يذكرها بماله من السلطة عليها وتجدها قد رزنت في مجلسها عند مجيئه واهتمت كثيراً بأن تظهر له ان ليس بين عشاقها من يشغلها عن الاهتمام به ، وترى صاحب المسرح قد خف للقياه مرحباً به غير ناس ان يشير الى المرأة من طرف خفي ليذكرها ايضاً بما يجب ان تمنح من التفاتها لهذا القادم فتومئ اليه بأنها عارفة بما يجب عليها ·

ويدخل القاعة شاب تعرف من مظهره وخيلائه وكثرة ندمائه المحاطين به انه من كبار اغنياء المدينة ، وترى هذه المرأة تنظر اليه باهتمام بعد ان رأته يطيل نظره اليها ، فتلتفت الى جارها ضارب العود فتسأله عن هذا القادم الجديد ، وتراها تريد ان تفهم هذا الشاب انها تسأل عنه لتظهر له انها بدأت ان تكون شديدة الاهتمام به مذ رأته ، وتجده حينئذ وقد اغواه ما استكشفه من امر سؤالها عنه قد ازداد تيهاً وعجباً ، وتشعر هي بنجاحها في دورها الاول فتستعد لتمثيل الدور الثاني الذي اعتادت ان تستغوي به امثاله لولا ان يزعجها حينئذ رجل من طبقة العوام جلس قريباً من المسرح ، اطربه ماتغنيه فرماها بتفاحة كبيرة اصابت يدها ووقعت في حضنها · وتقدم الشرطي ليقبض عليه ، فاحتاط به رفاقه يمانعون في اخراجه من بينهم ، واصر الشرطي على اخراجه فونمت بينه وبينهم معركة صغيرة لم يكد ينتهي امرها ويرجع مشاهدوها الى مجالسهم حتى وقف ذلك الشاب متظاهراً بانزعاجه مما كأنه لم يعتد ان يراه · ثم لايلبث ان يخرج مع اعوانه وندمائه مظهراً تأففه مما رأى ·

ولا تنهض هذه المرأة للرقص · وهي آخر من يرقص من نساء المسرح ، حتى تكون الخمرة قد فعلت فعلتها في رؤوس المشاهدين · وكثيراً مايحدث حينئذ ان يقف رجل يترنح سكراً فيطلب اليها ان تغنيه اغنية يحبها · ويصيح من الجهة الثانية رجل آخر فيطالبها باغنية غيرها · ولا يلبث بعد قليل ان ينضم لكل من الرجلين رفاقه · ويسرع الشرطي لتلافي الامر فلا يكاد يصل اليهم الا وقد ابتدأت المعركة بينهم · وقد تستمر المرأة في غنائها ورقصها حينما تكون المعركة خفيفة الوطأة · ويتقدم الشرطي فيقود معه من يقود منهم ويعود الامن الى نصابه · وتلتفت فترى رجلا بلغت منه الخمرة اشدها وقد اشجاه غناء هذه المرأة وهاج رقصها ما كمن في نفسه من شعور هيامه بها · فأهوى برأسه على عضد رفيقه يبكي وينتحب · وتمر بنظرها عليه فيضحكها بكاؤه · ويرى ضحكها رجل آخر جالس غير بعيد من الباكي · فيندفع صائحاً : يالها من امرأة فاجرة لئيمة لايضحكها الا منظر الدموع التي تسكب تحت قدميها · وينهض وهو يحاول ان يهاجمها في مسرحها · فيحول بينه وبين ذلك رفيق له لعله اقل سكراً منه ·

وترمي بطرفك الى جهة اخرى ، فترى رجلا يشتد به السكر فيهوي عن كرسيه ساقطاً الى الارض · فينهضه رفيقه ويعيده الى مجلسه · ثم يقدم له كأساً من الخمرة فيتعذر عليه شربها · لانه لم يبق في احشائه فراغ يستوعبها · ويرى رفيقه ان المرأة تنظر اليها فيود ان يسترضيها فيستحلفه بها ويطالب اليه ان يشرب نخبها · فيحتسي الكأس مضطراً ثم لاتلبث ان تضيق امعاؤه به ذرعاً · فيعيدها وكأنما يعيد معها قطعاً من احشائه ·

ولعلك اذا التفت الى ناحية ثانية رأيت مناظر شتى لاتخرج عما يمثله السكارى من الادوار التي يحزنك اكثرها وقد يضحكك بعضها واذا اردت مراقبة هذه المرأة اكثر مما راقبتها وانتظرت خروجها من مسرحها رأيتها حينئذ وقد احاط بها جمع غفير من عشاقها واكثرهم سكارى · فيتقدم الاول اليها باسطا يديه يذكرها بعهده · ويعترضها الثاني في طريقها فيعاتبها ويسترضيها · ويحاذيها الثالث فيحاول ان يستغويها بمزاحه وهزله · وقد يهاجمها الآخر مشهراً خنجره بيده يريد ان يؤيد حبه لها بالسلاح الابيض وتجدها في هذا الموقف اشد ماتكون ارتباكاً واضطراباً لاتعرف ايهم تجيب ولا اياً منهم تسترضي · ويزيد في همها ان الشرطي يسير غير بعيد منها فهو يراقبها وينذرها من حين الى آخر بمنعها عن عملها في المسرح · وكثيراً مايؤنبها ويوجه اليها من كلماته مايؤلمها ويغضبها وقد تظل في ارتباكها حتى تصل دارها · وكثيراً ما ترى المعركة قائمة على بابها بين من سكروا في مسرحها وبين افراد الشرطة ·

فرح الحزن وحزن الفرح

(عن الفرنسية)

بقلم: الدكتور كاظم الداغستاني

اصاب فكتور داء عضال اجبره على الخضوع لنظام صحي وحمية شديدة صعب على من كان مثله ان يمارسها فقد اضطر ان يمتنع عن اطعمته اللذيذة ويحرم من تناول غذائه في ضواحي المدينة وفي خارج منزله بعد ان الف ذلك واولع به ولقد الزمه هذا المرض الخبيث الذي نزل به ان يقوم في كل يوم بتمرين رياضي شاق ينافي ذوقه ولا يأتلف مع طباعه ولقد اوصاه الكاهن الذي كان يعترف بخطيئاته اليه ان ينذر الى الله كل ما حرمه المرض اياه من ملاذ الدنيا لكيما يحسب له ذلك في الدار الاخرة يوم ينصب الميزان فتحاسب كل نفس على ما كسبت . فتعزى فكتور عن مرضه بل سعد وفرح به حينما فكر بان ما اصابه من الملل والسآمة من هذا المرض سيكون سبباً يهيئ له مكاناً رحباً في الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين .

* * *

لقد احرز دامون وهو لم يزل شاباً مكانة عليا في الدولة فهو وزير وعضو في المجمع العلمي الافرنسي . . تردد اسمه جميع الافواه وتفاخر بنشر رسمه كل الصحف مشيدة بمساعيه الجليلة واعماله العظمى فهو وان لم ينل جميع ما كمن يطمح اليه فقد ارضى رغبته وحقق جل امانيه ولقد كان بعد ذلك هانئاً مغتبطاً لو لم يلازمه ذكرى امه تلك الام التي رأى فيها اعظم رمز للحنو والشفقة في حياله المتقدمات . نعم سعده لم يشرق بعد المتقدمات وهي اعظم ما يكون اعتزازاً بمستقبله فلم تره عندما احرز تلك المكانة العليا التي كانت تجعله جديراً بها واهلاً لاحرازها وكم كانت سعيد لو رأته في حالته التي وصل اليها وهو نفسه كم كان سعيداً لو كانت حية الان فيتقدم بين يديها ليقبل ذلك الجبين الذي ما برح يتراءى له وقد زادت همومها من غضونه وجعدته اتعابها في سبيل سعادته . لقد كان يذكر ذلك وهو يقرأ ما نشرته الجريدة الرسمية من مذكرات المجلس الاعلى ويطلع على ما تركته خطبته الرنانة فيه من التأثير على نفوس اعضائه الذين وافقوا على ما جاء فيها بالاكثرية ساحقة فيشعر بانقباض شديد في صدره ويلم بنفسه من الحزن والالم ما يعكر عليه لذته ويشوه وجه فرحه . فكم للانسان من اساليب يحول بها فرحه الى حزن وحزنه الى فرح

لقد خابت اماني السيدة ارماند خيبة عظمى فان ابنة عمها قد توفيت موصية بجميع ثروتها الطائلة لمشاريع الخير وقد خسرت ارماند من جراء هذه الوصية مائة الف فرنك كانت تؤمل ان ترثها من ابنة عمها فحزنت للامر لكن حزنها كان يمازجه فرح نشأ عن دهائها فان قريبتها لما بينه وبينها من العداء والبغضاء ما لا يزول حتى الموت قد حرم هو ايضاً معها من هذا الارث ولقد رأت نفسها منصورة عليه بشماتتها به ولقد سعدت حينما فكرت بالحزن الذي نزل به لحرمانه من هذا الارث الذي كان نصيبه منه اعظم من نصيبها وحاجته اليه اشد منها فلقد فرحت مع انها لم تكن راضية في داخل نفسها عن قريبتها المتوفاة لتصرفها باموالها على هذا الشكل الذي تصرفت به .

* * *

ان فيلمون يملك منذ بضعة ايام عشيقة فاتنة هي اجمل وابدع من جميع اولئك اللواتي ملكهن او تصورهن ، وبينما هو عائد من لدنها في هذا اليوم متنعماً بذكرى تلك الساعات التي

قضاها بجانبها فكانت اسعد ساعات حياته هاجمت خاطره على حين غفلة فكرة جعلته يقول في نفسه «آه لو اني كنت الرجل الاول الذي عشقته هذه المرأة! ولكن من يدري كم عاشق كان لها من قبلي فلقد منحتهم ولا شك من الهناء مامنحتني ولقيت منهم مالقيته مني ومن يدري ان صورهم لم تختلط في مخيلتها بصورتي في غضون تلك الساعات التي قضيناها معاً فخلتها اهنأ ساعات عيشي» ومازال في فكرته هذه حتى بدأت نيران الغيرة تلسع احشاءه فالتهم ذلك الفرح الذي كان قبل دقائق يملأ فراغ فؤاده دون ان يخالطه شيء من الكدر او الحزن . وكم للانسان من اساليب يمارسها فيخلق بها من فرحه حزناً ومن حزنه فرحاً

***

لقد اوضحنا فيما تقدم من امثال ضربناها انموذجاً من تلك المخاوف والهواجس التي تستولي على الناس في اسعد ساعات حياتهم فتكدر عليهم صفوهم وتنقص لذة افراحهم والى ذلك اشار الفيلسوف نيتشه حينما تصدى لمعالجة هذا الامر فقال : لم امنح نفسي من السعادة والهناء قط مقدار ما استطعت ان امنحها في خلال سنوات مرضي الشديد المؤلم . وان للانسان اساليب كثيرة يستطيع معها ان يوجد من حزنه فرحاً ومن فرحه حزناً عند الحاجة .

كاظم الداغستاني

الجناح المكسور

بقلم: الدكتور كاظم الداغستاني

ارأيتها وقد طارت بجناحيها ، آمنة عوادي الزمن

لقد شدت بين الرياض ، وحامت حول الازاهر ، وتنقلت من غصن الى فنن

لقد مضت والربيع ، الى ضفاف الغدير ، تشرب في كؤوس «الزهور» رحيق الشباب والهوى

ومشت يحدوها الهيام ، على رمال البحار ، وفي سفوح الجبال ، ترتل نشيد الصبى

وغرتها اماني الحياة ، فظنت وعود الزمان حقيقة لاتفترى

وهبت العاصفة . . . . فاذا الجناح ينكسر ، واذا الآمال تنقضي ، واذا الهوة سحيقة المدى

لقد اضناها المسير ، واجهدها النحيب ، فارتمت وقد فت في عضدها الاسى

يا للرجال الراحمين !!!!!

لقد رددت صخور الوادي صوت الانين ، فلا من مجيب سوى رجع صدى .

كاظم الداغستاني